" رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين "

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين " : عينة أخرى من النفوس النادرة التى رأيتها تحيا حياة الوداعة بشبه المسيح .. رجل فاضل كان يشغل وظيفة كبيرة و هو مهندس خبير و لكن شهد عنه كل من أحتك به فى العمل ، لم يره أحد غاضبا قط . شىء على غير عادة المراكز القيادية التى تتطلب الحزم - الذى كثيرا ما يتحول إلى سلطة جزائية - لم يغير المركز شخصية هذا البار ، فظل وديعا هادئا ، صوته خفيض فيه رقة عجيبة ، و للعجب كان الجميع يجلونه لوداعته و كانت كلماته الطيبة ذات فاعلية عجيبة لدى الجميع ، و لم يكن أحد من مرؤوسيه يود أن يخالف له أمرا ، فكان العمل يسير بروح قل أن تجدها فى مصالح العالم .

كان الرجل يستمد وداعته من عشرته مع مخلصه الذى قال " تعلموا منى لأنى وديع و متواضع القلب " فكان كثيرا الصلاة يقضى فيها ساعات طويلة .. يحب الصلاة و يقوم مبكرا جدا .

إلى جانب ذلك كان يلذ له أن يقرأ الكتاب المقدس ببساطة ، دون فلسفة أو تحوير .. معانى الكتاب المقدس كانت أمامه بسيطة للحياة و لم تكن عقلانيات لحشو العقل و إشباع الذكاء .

كان الأنجيل للحياة ، و للحياة فقط .. و كان يقول لى إن أجمل آية تعلقت بها حياته ، و علق عليها كل الحياة هى ما جاء فى رسالة فيلبى " فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح " . و كان قد قرأها فى بكور حياته و هو طالب فى أولى هندسة فأحس أن هذه الآية تحوى الحياة كلها ، فتعلق بها ، يحفظها ليس حفظ الكلام ، و يكررها ليس تكرار اللسان .. كان يقولها كثيرا لأولاده و بيته و يوصى كل معارفه بها " فقط عيشوا كما يحق لأنجيل المسيح " .

كان أختلاط الرجل بالناس قليلا ، فهو محب و لكن ليس له أصدقاء كثيرون خشية ضياع الوقت ، فكان هادئا و يحب أن يحتفظ بهدوئه ، و كان أصدقاؤه الذين أختارهم على شاكلته من الجدية و البساطة و الوداعة فى نفس الوقت . فكانوا إذا إجتمعوا معا تحلوا لهم العشرة بحسب قول المزمور " هوذا ما أحسن و ما أحلى أن يجتمع الأخوة معا " .

فى كثير من الأحيان كانوا يدعوننى إذا إجتمعوا فى بيت أحدهم فكنت أفرح أن أوجد فى وسطهم . و فى صباح باكر أحد الأيام أيقظنى جرس التليفون و إذ زوجته تصرخ " الحقنى .. فلان .." انزعجت روحى .. و لا أعلم كيف إرتديت ملابسى و لا كيف صرت فى الشارع أجرى بخطوات صريعة و لا كيف وصلت بيتهم .. فتحت لى الزوجة و هى فى حالة ذهول .. قالت : " تعال و انظر " .. دخلت إلى حجرته .. كان نائما بوجه مشرق جميل و يداه على صدره ممسكا بالكتاب المقدس ، مددت يدى و أخذت الأنجيل من يديه .. كان مفتوحا على رسالة فيلبى .. وقعت عيناى على الآية " عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح " و كأن الآيه كانت تلمع بحروف من نور .. إنها آية حياة ، فقط تعلق بها هذا البار فرفعته إلى السماء و انطلق و هو متمسك بها إلى أن جاز إلى الأخدار السماوية .. طوباه

وداعة الحملان و شجاعة الشهداء :

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين " : كنا نتعزى بمثل هذه الأخبار و المثل الحية فى حياة البر و راحة المختارين فى بيت أحد الأحباء ، و هو إنسان مملوء محبة و يحيا حياة مسيحية فقال : " أظن أن مهما بلغ الأمر من كشف فى حياة أولاد الله فهذا لا يبلغ ما رأيته فى حياة والدى نيح الله مفسه " . و كان يجلس معنا فى هذا المساء أقارب

كثيرون لهذا الأخ المبارك و كانوا شهود عيان لما حدث .. قلت : " دعونا نتعزى بأخبار الأبرار " ، قال و دموعه تكاد تغالبه رغم مضى أكثر من عشرين عاما على وفاة والده :

" كان والدى فى الأربعينات الأولى من عمره و هو مكتمل الصحة لم يصب بمرض قط ، و كان رقيقا محبا عطوفا على الفقراء لدرجة لم يعرفها أحد من كل عائلتنا لدرجة إنهم كانوا يتهمونه بالسذاجة لإنه كان فى نظرهم يبذر أمواله على المساكين و المحتاجين و كان رجلا عطوف القلب رحيما لا يطيق أن يرى أو يسمع عنفا أو مشاجرة .. فكان إن تصادف و هو واقف فى شرفة المنزل و رأى أناسا يتشاجرون يدخل مسرعا و يغلق الباب خلفه و لا يطيق أن يسمع السباب أو الصوت العالى .

و كان مواظبا على حضور القداسات منتظما فى صلوات الأجبية .. كان الوعظ فى أيامه قليل و لا سيما فى البلدة التى كنا نعيش فيها و هى أحد مراكز المنيا .. و لكنه لم يكن يحتاج إلى وعظ و .فالحياة المسيحية عنده أهم ، و الممارسة و حياة الفضيلة التى يحياها هى شغله الشاغل .

كانت والدتى - كانت من بين الجالسين معنا فى تلك الليلة - ساذجة لا تعرف من الحياة شيئا سوى بيتها و أطفالها ، لا تخرج من البيت سوى للكنيسة .

كان أبى موسرا غنيا عنده أراضى و أملاك و كان يدير أمواله بلا ارتباك و كان يعفى والدتى تماما من كل الأهتمامات العالمية و يوفر لها كل شىء ، فكانت هى تنعم بالحياة بدون ارتباك .. حياتهم كانت مثل ترنيمة جميلة .. لم نسمع قط أن خلافا دب بين والدى و والدتى و ما رأيناهم قط يتشاجران أو يختلفان . "

و كان وقت قوله هذا الكلام أن والدته و هى سيدة تقية محبة للمسيح كانت تبكى بهدوء و دموعها تجرى على وجهها الملائكى .

قلت : نحن نطوب إنسانا وصل إلى ميناء السلام و هو الآن ينعم بخيرات أبدية فوق كل مستوى الأرض و مسراتها ، فلماذا البكاء ؟ أرجوكم أرفعوا عقولكم إلى حيث المسيح جالس لكى لا يعكر العدو صفونا " فإستمر هذا الأخ فى حديثه ، قلت له مقاطعا : عندما تنيح بابا ، كم من السنين كان لك ؟ قال : **16** سنة . قلت : كنت إذا مدركا لما يدور حوالك ؟ ، قال : طبعا كنت شابا فى ثانوى .

قلت : إكمل حديثك بدون إنزعاج

قال : " فى يوم من الأيام صحا والدى من نومه و تناول طعام الأفطار معنا ، ذهبنا إلى مدارسنا و بقى و والدتى فى المنزل .. قالت ماما : أنت مش نازل النهاردة عملك ؟ قال : لا أنا أجازة اليوم .. ثم دعا والدتى إلى حجرة مكتبه و قال لها بإبتسامة رقيقة : أنا عاوز أطلعك على بعض أوراقى . و أبتدأ يطلعها على جميع أوراق أملاكه من أطيان و نقود بالبنك .. فقالت و قد أستبد بها الأنزعاج : " لماذا كل هذا ؟ أنا لا أريد أن أعرف شيئا من كل ذلك " قال و هو هادىء جدا " لابد أن تعرفى .. لقد حملت عنك هذا الحمل كل هذه السنين ، و اليوم لابد أن تعرفى لكى تحملى المسئولية " .. قالت : " مسئولية أيه ؟ " و إنخرطت فى البكاء فكان يهدىء من روعها و يربت على كتفها و يقول : " أنتى بتعملى كدة ليه ؟ ربنا مدبر الخليقة كلها سيدبر أمورك و يعتنى بك لأنى أنهيت أيامى على الأرض و سأمضى إلى المسيح اليوم "

إنهارت والدتى و هى تقول : مش ممكن .. أيه الكلام الفارغ دة .. أنت فى عز شبابك و فى كامل صحتك ، لو شاعر بمرض نستدعى الدكتور . فقال لها : صدقينى يا عزيزتى إنى كما تقولين و لكن هذا أمر ربنا . قالت له : أرجوك كف عن هذا الهزل و هذه النكتة السخيفة ، و إن كنت تريدنى أن أشاركك المسئولية فى تدبير شئونك فأنا شريكة حياتك " . قال لها : لا مانع . و هدأ من روعها و

أطلعها على كل ما عنده من أسرار ثم عمل بعض المكالمات التليفونية ، ثم قام من حجرة المكتب و دخل الحمام و أستحم و لبس ملابس جديدة ثم رقد على سريره و أمسك كتاب الأجبية . يقرأ بعض المزامير .. عادت والدتى إلى الحجرة لتجده هكذا نائما و قد أسلم روحه بيد المسيح
كانت تصرخ و هى غير مصدقة .. و ما هى إلا دقائق و دخلت عمتى و قالت : يابنى دا أخويا دة كان ملاكا و لم يكن إنسانا " كانت العمة فى ذلك الوقت تسكن على بعد ساعة و نصف فى بلدة أخرى . لقد إستدعاها بابا فى التليفون و قال لها : " أنا مسافر دلوقت و عايزك تحضرى حالا عشان زوجتى منزعجة و أرجوك أن تكونى بجوارها " . قالت عمتى : " ماذا يزعجها فى سفرك ؟ . " " قال : " مش عارف " .. قالت : " لا لازم فيه حاجة تانية " قال لها : " لما تيجى تعرفى
اجتمع الجيران على هذا الخبر المفاجىء المفجع غير مصدقين ، و فيما هم كذلك ، إذ صاحب محل فراشة يقول : " المهندس بولس إتصل بى من ساعتين و قال عندنا حالة وفاة و طلب إقامة سرداق بجوار المنزل " .. فوجىء الرجل أن المهندس بولس الذى كلمه هو الذى أنتقل .. كان وهو غير مسيحى - يلطم وجهه بكفيه و يقول : " مش معقول .. شىء مذهل ، أكاد أفقد الرجل - عقلى " و لما سمع تفاصيل الأمر ، قال : " حقا إن عبادتكم صدق و عندكم قديسيين ، لقد رأيت . " بعينى و سمعت بأذنى
ذهبت ماما لترى عمتى المكتب و ما بداخله من أوراق فوجدت على المكتب ورقة كتبها والدى و هو النعى الذى نشر بجريدة الأهرام .. لقد جهز كل شىء بهدوء حتى النعى ، لأنه يعلم أن والدتى . فى ذلك الحين لم تكن لها دراية بهذه الأمور و هو لم يكن له أخوة ذكور
و من الغريب أنه بصلوات أبى أعطى الرب والدتى روح تدبير ، فأدرات كل الأملاك و الأموال بذات الروح .. و كانت لها هيبة أمام المزارعين و لم تتعرض لشىء من المصاعب التى يتعرض لها عادة من يعيشون تحت نفس الظروف . و نشكر الله ، إننا نثق أن روح والدى ترافقنا فنحيا كأنه معنا . " يصلى عنا
قمنا بعد ذلك صلينا و شعرنا إن إخوتنا الذين سبقونا و رقدوا فى الأيمان هم أكبر سند لنا فى . جهادنا على الأرض

غلبة الموت
يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين " : فى الأيام الأولى لوجودنا داخل سجن المرج " كان الرئيس السادات قد قام بإعتقال كثير من القيادات الدينية " ، كان الجو وقتها مشحونا بالغيوم من كل ناحية ، لم يكن أحد يتوقع ما حدث . كأن الظلام قد أطبق من كل ناحية و لكن رجاءنا فى السيد المسيح كان هو البصيص الوحيد للنور . كان الآباء المحبوسون من كل أنحاء مصر ، و كثير منهم لم يكن يعرف الآخر ، كانت هذه الأيام الأولى تمر . بطيئة ثقيلة على النفس
و كنا فى الصباح الباكر فى كل يوم نصحوا على صوت كنسى فيه عزاء كبير ، يصلى مقتطفات من القداس الألهى ، و كنا نسمعه يسبح بنغم روحى يزيح عن النفس الكمد الذى كان يشيعه جو . السجن و حرس السجن
كان هذا الأب الكاهن من سوهاج ، و بمرور الأيام أصبح عمله هذا كصياح الديك فى الفجر ، ينبىء دائما بإنقشاع الظلام . كانت الزنزانة التى أقيم فيها فى منتصف العنبر المكون من ثلاثة أضلاع و كان هذا الأب يقيم فى زنزانة فى طرف الضلع الأول ، فلم تكن هناك فرصة لأتحدث عنه

أو أراه و كان الحمام الوحيد بالعنبر بجوار زنزانتى ، فكان عندما يأتى عليه الدور ليستحم كنت أراه ، فكان يسلم على و هو لا يعرفنى و أنا أراه من طاقة الزنزانة التى لا تزيد عن قبضة اليد .. و لأنه كان مصابا بحساسية فى الصدر سمحوا له بحمام يومى .. كان و هو فى الحمام أيضا يصلى ، و لكنه يصلى الأواشى فقط عن سلام الكنيسة و أوشية الآباء .. و لما دققت السمع فيما يصلى وجدته يقول " الرئيس و الجند و المشيرين نيحهم جميعا " .. لم يكن أحد من الحراس أو الضباط يفهم شيئا و كان بعض الآباء يقولون " آمين " .. و لم يمض سوى أيام حتى صنع الرب صنيعه العجيب و أستجاب .

و بعدها إنتقلنا جميعا إلى سجن بوادى النطرون ، و عشنا جميعا فى عنبر واحد ، و تعرف بعضنا ببعض عن قرب شديد ، إذ قد عشنا معا عدة شهور . فلما عرفت هذا الأب عن قرب وجدته رجلا بسيط القلب مملوء بالعاطفة . كانت نفسيته بسيطة ، علاقته بالمسيح ليس فيها قلق و لا تعقيد. كان يحب المسيح من قلب بسيط كقلب طفل صغير .

توطدت العلاقة بيننا جدا ، و كنا كلما سرنا لبعض الوقت نتكلم عن أعمال الله و تأملنا فى كلامه و وعوده الصادقة . قال لى مرة و نحن نتكلم عن أعمال الله ، أن من أعجب القصص التى عاشها فى خدمته إنهم أيقظوه يوم سبت النور بعد أن سهر الكنيسة حتى الصباح بعد إنتهاء القداس الألهى الساعة السابعة صباحا ثم ذهب لبيته ليستريح .. أيقظوه بإنوعاج و قالوا له قم إعمل جنازة .. قام من نومه العميق منزعجا ، و سأل من الذى مات ؟ قالوا له الولد فلان .. أبن ثلاثة عشر عاما . لم يكن الولد مريضا و لكن فى فجر اليوم وجدوه ميتا .. و حزن أهل الصعيد صعب و صلوات الجنازات رهيبة .. لا سيما إذا كان موت مفاجىء أو ولد صغير السن . قام الأب و هو يجمع ذهنه بعد ، مغلوبا من النوم ، فكأنه كان تحت تأثير مخدر .. لم يستوعب الأمر . كان يعمل كل حالة هياج و شىء كأنه آلة تعمل بلا إدراك ، غسل وجهه و ذهب إلى الكنيسة ، وجد الناس فى عويل .

دخل هذا الكاهن الطيب ، باكيا مشاركا شعبه ، وضعوا الصندوق أمامه ، و كان لهم عادة فى بلده أن يفتحوا الصندوق و يصلى على المتوفى و الصندوق مفتوح . صلى صلاة الشكر ، ثم رفع صليبه ، و بدلا من أن يصلى أوشية الراقدين ، صلى أوشية المرضى بغير قصد و لا إدراك ، كان كأنه مازال نائما .. و فيما هو يصلى " تعهدهم بالمراحم و الرأفات .. أشفيهم " ، إذ بالصبى يتحرك و هو مسجى فى الصندوق .. قال : لم أصدق عينى ، جسمى كله أقشعر .

تجمد فى مكانه و لكنه أكمل الصلاة ، و زادت حركة الصبى .. صرخ الكاهن ، إنه حى ، هاجت الدنيا حوله .. فكوا الولد من الأكفان .. إنه حى .. سرت موجة فرح الحياة .. إنقشعت أحزان الموت .. إنه يوم سبت النور ، يوم كسر المسيح شوكة الموت .

كان يحكى هذه الحادثة العجيبة ، التى هى أعجب من الخيال ، و كأنه لم يكن له شأن فيها ، بل كان متفرجا و مندهشا ، لم يكن الجرل ينسب لنفسه شيئا و لم تكن نفسه محسوبة فى نفسه شيئا ، و لكن الواقع إنه كان رجل الله .. و قد إنضم إلى مصاف الكهنة السمائيين و أنتقل من هذا العالم الزائل بعد أن خرج من السجن بسنوات قليلة . أرتقت روحه المسبحة إلى طغمة الذين يسبحون الرب بلا سكوت و بلا فتور .

تحت عنوان " ملاك الرب يحوط بخائفيه و ينجيهم " ، يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين " : " من أروع الأختبارات فى عناية الله و حفظه لأولاده ما

أختبره أولادنا أثناء الحروب ، فقد تعرض البعض منهم لموت محقق و لكن الله نجاهم بطريقة إعجازية .. و كان إذ صرخوا إلى الله ، إنه نجاهم من شدائدهم و أرسل لهم ملاكه فى الوقت المناسب فدفع الخطر عنهم .

فى أثناء حرب 1973 دخلت إلى قداسة البابا شنودة الثالث فأرانى شيئا عجيبا .. إنجيل مقدس عهد جديد و رصاصة مخترقة الإنجيل ، و مستقرة فيه إلى نصف صفحاته . قال لى البابا : هذا الإنجيل كان فى جيب أحد أبنائنا المجندين فى الحرب ، كان فى جيبه الأيسر المقابل لقلبه ، أصابته هذه الرصاصة فدخلت فى الأنجيل ، لكنها توقفت كما ترى ، لقد نجا من الموت بإعجوبة . و لكن كيف إستطاعت وريقات الإنجيل أن توقف الطلق النارى ؟ شىء عجيب حقا . فقلت للبابا كأن يسوع وضع يده على صدر أبنه هذا ، و قال له دع عنك هذا فيدى التي ذاقت المسمار عنك ، هى التى ستصد عنك هذا الأذى . " حقا قيل عن الرب إن آلامنا حملها و أوجاعنا تحملها " . و كنت أفكر كيف تصير هذه الحادثة سبب خلاص لهذا الأخ و إختبار لمحبة الله و عنايته و كيف يحب الإنجيل محبة خاصة فريدة ، لا سيما و قد نجاه من موت مثل هذا .

قصة ثانية

حادثة أخرى حدثت فى يونيو 1967 لزميل لنا كان فى الخدمة فى كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس باسبورتنج ، و هو إنسان روحانى هادىء الطبع محب لله و لخدمة أسمه ، و هو شماس يصلى بصوت ملائكى معزى و له اختبارات كثيرة مع الله و عجائبه الكثيرة .

فى يوم من أوائل شهر يونيو 67 وجد نفسه و على غير توقع و قد أستدعى إلى الجيش و رحل هو و آخرين فورا إلى صحراء سيناء . و ما هى إلا ساعات و وجد نفسه هو و مجموعة من المستدعين الإحتياطيين فى عمق الصحراء ، و قد لاحت بوادر الحرب و بدا الجو مكفهرا . كل شىء مخيف و بلا مقدمات بدأ الهجوم الإسرائيلى . كان هذا الأخ فى خيمة صغيرة و معه مجموعة من حوالى 15 شخصا و الجميع فى حالة من الهلع و قد وجموا فى سكون مخيف ، سكون الموت . و هم لا يعرفون بعضهم بعضا . كل واحد يحمل قصة فصولها الأسى و ختامها الألم و الموت . جلسوا ينظرون إلى بعضهم البعض ، كادوا ينفجرون و لكن لا قوة على التعبير حتى . و فجأة نظروا إلى هذا الأخ ، يبدو أن ملامح السلام التى كانت على وجهه كانت واضحة ، وجدوه مختلفا . فصاح أحدهم فيه و كأنهم علقوا رجاءهم عليه ، رغم إنهم لا يعرفون عنه شيئا ، و لم يكن فيهم مسيحى واحد . فقال الأخ : أنا معايا إنجيل ، . صاح فيه قائلا " قل لنا حاجة " تحبوا أقرأ لكم شيئا منه ؟ ، قالوا : إقرأ . فتح أخونا الإنجيل حيثما إتفق إذ لم يكن فى باله أصلا أن يقرأ شيئا . قال لهم : سأقرأ ما أجده أمامى ، فوافقوا . و ياللعجب .. فتح فإذ المكتوب فيه " و لما كانت عشية ذلك اليوم و هو أول أيام الأسبوع و كانت الأبواب مغلقة حيثما كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود جاء يسوع و وقف فى الوسط و قال لهم السلام لكم " . و عندما قرأ هذا الأخ كلمات النعمة و العزاء هذه سرى فيهم روح سلام المسيح . و أغرورقت عيناه بدموع الفرح الذى غمر التلاميذ إذ رأوا الرب . فلما رأوا تأثره قالوا له : ما هذا الكلام ؟ ففتح فاه و بدأ يقص عليهم خبر قيامة المسيح من الأموات ، و كيف شدد التلاميذ بوجوده فى وسطهم و أعطاهم سلامه الخاص و نزع عنهم الخوف إلى الأبد . تهللت قلوب الجميع ، لا يعلم أحد كيف ملأهم سلام عجيب ليس من هذا العالم ، لم يكن شىء قد تغير حولهم و لكنهم شعروا بتغير داخلهم . و قال لهم الأخ بثقة فى مواعيد إلهه : ثقوا يا أخوة أن الله سينجينا جميعا فأخذوا هذا الوعد كوعد الله ، صدقوه بفرح عجيب ، و قد أكمل الله وعده فعادوا جميعا سالمين لم تسقط شعرة من أحد .

قصة ثالثة
جندى آخر كان محبا للسيدة العذراء يتشفع بها فى كل حين . كان قد عاش سنوات عمره الأولى فى أحد مراكز الصعيد و كانت جدته لأمه امرأة قديسة مشهود لها من الجميع . هذه ربته و سلمته حياة الإيمان و الإتكال على الله ، فشب على ما إستلمه ، و فوق كل هذا كان قد تعلق قلبه بحب الطهارة و حياة القداسة فكان كثير التوسل إلى الأم العذراء أن تحفظه فى حياة القداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب . و بعد أن أنهى دراسته الثانوية التحق بكلية الهندسة جامعة الأسكندرية ، و بعدما تخرج فيها قضى مدة التجنيد التى أمتدت إلى أربع سنوات بسبب ظروف الحرب . و فى أثناء حرب 73 بعد الثغرة التى حوصر فيها الجيش الثالث الميدانى ، و كان ضضمن المجموعة التى يقيم معها ضابط برتبة صغيرة ، كان متعصبا يبغض المسيحيين بغضة شديدة ، فأوغر صدر الجماعة كلها ضد هذا الأخ فصار شبه منبوذ فى وسطهم . و لكنه كان صبورا محتملا يتشفع بالعذراء القديسة أن تسنده ، و يصلى كل حين إلى الله حاسبا عار المسيح إنه غنى جزيل .
قلم فى منتصف إحدى الليالى من نومه فوجد الخيمة خالية من الناس ، و المخابىء حولها ليس فيها ساكن - أين المجموعة كلها ؟ نادى بصوت خفيف فلا من مجيب .. على صوته حتى صار يصرخ .. لا أحد ! لابد أنه جاءهم أمر بالأنسحاب من هذا الموقع و لكن إلى أين ؟ لا يدرى فى أى إتجاه ذهبوا . أخذ بعض الضروريات التى إستطاع أن يراها فى الظلام ، و مضى لعله يلحق بهم . لقد تعمدوا إلا يوقظوه من النوم ، و سوف يُهاجم هذا الموقع خلال ساعات فتكون النهاية . جرى فى إتجاه لا يعرف إلى أين يوصله ، فالصحراء فى الليل فيها جميع الإتجاهات متساوية . سار طوال الليل و جزءا كبيرا من النهار و أخيرا عثر على مجموعة أخرى و قد أعياه التعب . سلم نفسه لقائد الوحدة ، فسأله : من أنت و كيف أتيت إلى هنا ؟ فلما عرفه بما جرى له ، قال له القائد : إن نجاتك هذه معجزة ، لقد أردك العدو مجموعتك فى إنسحابها و أبيدت عن آخرها . فقال فى نفسه قول يوسف العفيف لأخوته : " أنتم قصدتم بى شرا و الرب قصد به خيرا " .

يسوع معين المجربين
للرب مختارون فى كل جيل ، حباهم بمواهب و عطايا و أجزل لهم العطاء بكل حكمة و فطنة ، و قد حبا الرب الأخت فوزية اسحق بنقاوة قلب غير عادية ، و شفافية كشفت أمامها أمورا يتعجب لها . أعتادت أن ترى رؤى الله ، و تدرك ببصيرة روحية جلائل الأمور قبل حدوثها . فمثلا فى فجر يوم الثلاثاء 9 مارس سنة 1971 أيقظت زوجها و هى فى غاية التأثر و قالت " خسارة كبيرة يا أنسى البابا كيرلس أنتقل إلى السماء " فقال لها : " كيف عرفتى ؟ " فقالت : جاءت إلى الآن أختى المرحومة جوليا - و هى شقيقتها الكبرى و كانت قد إنطلقت إلى السماء بعد حياة تقوى و قداسة - و قالت لى إحنا نزلنا موكب كبير من فوق مخصوص علشان نأخذ معانا البابا كيرلس ، و يقعد معانا فى المكان اللى إحنا فيه .
حدث هذا فجر الثلاثاء و انطلق البابا كيرلس بعد هذه الرؤيا بساعات قليلة !! و قد كانت يومها تسكن فى مدينة الأقصر يفصلها مئات الأميال عن مقر البابا بالقاهرة .
كشف عجيب : و قد حدث أيضا وقت إنتقال والدها بالأسكندرية ، و كانت مازالت تسكن فى الأقصر أن أستيقظت فى نصف الليل و قالت لزوجها " بابا يا أنسى خلاص أنتقل و أرتاح من أتعابه ، أنا شفته دلوقت و الملائكة طالعين بيه فوق للسماء " .. و قد تلقوا نبأ الوفاة صباح اليوم التالى و لما

سافروا للأسكندرية علموا أن ساعة إنتقاله كانت بالضبط هى الساعة التى رأته فيها فى الرؤيا منطلقا إلى السماء .

موكب ملائكة : كانت و هى زوجة و أم أولاد تمتاز بصفاء روحى و نقاء قلبى ، غير مهتمة بأباطيل هذا العالم و زخرفه الكاذب ، تحيا حياة بسيطة فى شكلها و موضوعها إلى أن سمح لها الرب أن تجرب تجربة المرض ، فمرضت بالسرطان ، و فى السنتين الأخيرتين قبل إنطلاقها للسماء عانت من الآلام ما لا طاقة لبشر على إحتماله ، و لكن رصيدها من الرب فى العزاء فاق الآلام بما لا يقاس ، و كمل فيها قول الرسول " إن خفة ضيقاتنا الوقتية تنشىء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدى " .

إتفاق على موعد الإنطلاق : و لكن ما هو أغرب من الخيال ، كيف حدد لها الرب ميعاد إنطلاقها من العالم . كانت يومها مثقلة بالآلام - كان ذلك يوم 4 يناير سنة 1984 - و فى الصباح الباكر أشارت لزوجها و قالت : " تعالى يا أنسى عندى كلام حأقوله لك و متزعلش ، أنا الليلة كنت مع المسيح و قال لى أنت كدة كفاية خالص أخذت آلامك كلها ، و الأكليل إتجهز لك كمان ، و إذا كنتى تحبى تيجى معايا دلوقت أنا مستعد .. و لكنى قلت له : معلش يا يسوع صحيح الآلام دلوقت فوق طاقتى و شديدة خالص لولا ما أنت ساندنى ، لكن أنت عارف أد أيه أنا بحب أولادى و مستعدة أحتمل عشانهم ، و نفسى يعيدوا عيد الميلاد و عيد الغطاس كمان ، و بعدها ينبسطوا مع زملائهم فى الكنيسة فى أجازة نص السنة و أحب أكون عندك آخر يوم فى الأجازة يعنى يوم الجمعة 27 يناير ، علشان يدخلوا كلياتهم تانى يوم ، و يسوع وافقنى على الكلام دة و وعدنى أنه يتممه معايا ، فأنا يوم الجمعة آخر أجازة نص السنة هاروح السما .. أنت موافق و لا زعلان يا أنسى ؟

فتمالك الرجل نفسه و بالجهد إستطاع أن يرد عليها : معقول يا فوزية اللى وافق عليه يسوع أعترض عليه أنا ؟ لتكن مشيئته .

و قد كمل الرب فعلا وعده معها و أطلقها من سجن الجسد بسلام يوم الجمعة 27 يناير فى اليوم و الساعة التى اتفقت مع حبيبها عليها . يا للعجب !! إلى هذه الدرجة من الكشف و المودة و الأتفاق ، ما أعجب أسمك يا رب و ما أعجب حبك ، و ما أعجب مجدك الذى أدخرته لقديسيك . لقد كان الرب يعزى القديسين بأن يعلن لهم موعد إنطلاقهم قبلها بأيام ، و لكن ما سمعنا قط عن مثل هذه . ما أجمل حياة الألتصاق بالمسيح ، و قد كتب لنا زوجها العزيز الدكتور أنسى بعض ما سجله من رؤى و إعلانات و صلوات حارة عميقة و نصائح غالية نافعة لكل نفس .

لقد كانت - رحمها الله - أثناء الليل و هى بين النوم و اليقظة - لأنها كانت لا تعرف طعم النوم بمعناه الطبيعى من فرط آلامها الشديدة و المستمرة ، إنما كانت تحت مفعول المسكنات و المنومات تذهب فى اغفاءة خفيفة تتكلم فيها بكلمات بسيطة و واضحة و عميقة تصور فيها مشاعرها و تعلنها فى صورة تأملات ، و أخرى إعلانات لما تراه من رؤى روحية و سماوية و هى تحت ضغط آلامها المبرحة القاسية .

و هناك من هذه الأعلانات ما يوضح إنها كانت لها لقاءات مع حبيب نفوسنا الرب يسوع الذى سمح فى تنازل محبته أن يتراءى لها مرات عديدة معلنا لها ذاته ناشرا حولها نوره و بهائه .. و يدخل معها فى حوار يمدها من خلاله بالرجاء و المعونة و التعزية ، فيخفف عنها آلامها لتصير ليست محتملة أو صابرة عليها فقط ، بل و شاكرة و فرحة بها أيضا .

و ها زوجها يسرد لنا بعضا مما سجله لها مما قالته أثناء الشهور الأخيرة من مرضها .. " إن زوجتى الحبيبة - نيح الرب نفسها كانت تتكلم بهذه الأقوال فى وضوح و بساطة ، و هى لم تكن تقصد أن وجدانها - و توجهها إلى أحد منا . و لكنها كانت تقولها تلقائية معبرة بها عن مشاعرها و مكامن رغم إنها تقولها و هى تحت وطأة آلامها الشديدة ، إلا إنها كانت مع بساطتها أقوال مرتبة ذات

أفكار عميقة . و كنت إذ أسمعها بمفردى أثناء الليل أشعر بإنها صادرة من قلب ملأته السكينة . فى مش هنشبع من أجسادنا إحدى الليالى سمعتها تقول : يا ريسوع المسيح أنت اللى تشبعنا بس ، أبدا مهما أكلنا و لبسنا و أخذنا .. أهو أنا دلوقت جسدى يبلى يوم بعد يوم ، و حتى اللقمة الصغيرة تقف فى حلقى ، و لكن أشكرك لأنك وريتنى إنك أنت شبعى . و لأنى فى أوجاعى الشديدة أشوفك جنبى .. زمان لما كنت كويسة ما كنتش بشوفك ، عشان كدة أنا أصبر و أشكر و افرح .... يا ريت الناس يعرفوا يعملوا لك مكان فى حياتهم ، الشيطان بيضحك عليهم علشان يملوا قلوبهم بأمور العالم لغاية ما يبقاش فيها مكان لك ، أرجوك يا ربى تفرح الكل بشخصك ، تساعدهم تقول : آه الوجع شديد علشان يجعلوا لك مكان فى قلوبهم .. - ثم تتأوه بأنين الوجع الشديد و .. خالص لكن كفاية يا يسوع إنى شايفاك و أنك معايا

و فى ليلة أخرى بعد أن تئن متألمة من ألم شديد تذهب فى إغفاءة نوم بعد حقنة المورفين ثم توقظنى بصوتها قائلة : يا حلاوة اللى أنا شايفاه يا أنسى . أقول لها : شايفة أيه ؟ و تقول لى شايفة يسوع جميل جمال غير عادى ما أقدرش أوصفه - أقول لها أنا طبعا مش هو أبرع جمال من بنى البشر ؟ ، تقول لى صحيح صحيح ، أسألها : قال لك حاجة ؟ فتقول : أيوة ، قال لى تحبى تيجى عندى دلوقتى ؟ قلت له أيوة حاضر أنا مشتاقة خالص بس بعد شوية صغيرة سيبنى أكلم . أولادى و أوصيهم كمان شوية إنهم يكونوا معاك ، و بعد كدة خلاص آجى عندك

و يبدو أن المسيح له المجد لم يكن يتركها لا بالليل و لا بالنهار ، بل و أكثر من ذلك لقد تيقنت أنه كان يأخذها و ينطلق بها لفترات خارج جسدها و خارج هذا العالم ليعطيها راحة و سعادة و تعزية على مثال ما أخذ الرسول بولس إلى السماء الثالثة بعد أن رجموه فى مدينة لسترة و كاد أن يموت فأخذه ليقويه و يعزيه .. أما كيف تيقنت ، هذا بناء على الحدث التالى : فى صباح أحد الأيام إستيقظنا و وجدنا حبيبتنا الراحلة فى حالة غريبة - لا هى متيقظة و لا نائمة - و بينما نحن نفكر متحيرين جاءت لزيارتنا الأخت الدكتورة مفيدة معوض و هى صديقة مخلصة كانت تتردد عليها ثلاث مرات اسبوعيا لتقضى معها بعض الوقت و كانت ترتاح إليها كثيرا طوال فترة فرحها و آلآمها . و لما فحصتها تحيرت هى الأخرى جدا فالحالة ليست غيبوبة بصورتها المعروفة و ليست بحالة وفاة و لا حياة . و ظلت تمارس كل الوسائل لتفيق ، و بعد مدة فتحت عينيها فجأة ، فبادرتها الدكتورة مفيدة قائلة : أيه الحكاية يا فوزية أنتى فين و حصل معاكى أيه ؟ .. و ردت عليها : أنتوا دلوقت قطعتوا على أسعد لحظات حياتى يا دكتورة مفيدة . و لكنها لم تصف أى شىء أكثر من . ذلك

إلا أنها فى الليلة التالية أيقظتنى على صوتها و هى شبه نائمة و لكن تتكلم بصوت مسموع واضح قائلة : غريب خالص اليوم اللى فات دة ، إبتدا براحة غريبة من غير آلالآم بالمرة و دى أول مرة أعيش من غير ألم من شهور طويلة - و أكتر من كدة شفت يسوع الصبح بدرى و قال لى : أنتى من بناتى اللى أنا بحبهم و اللى بحبه أكبر له أكليله .. و اللى كمان بيحبنى صحيح يستحملنى و يقبل منى كل شىء .. و كنت شاعرة زى ما أكون خفيت خالص لغاية ما تركت العالم فعلا و عبرته لمدة لحظات ماقدرش أعرفها أد أيه أو أوصفها ... حسيت أن كل آلامى و أتعاب عمرى كلها خلعتها عشان أتهيأ للبس الثوب الأبيض بتاع السما .. كنت فى منتهى الفرح و بعدها دخلت الدكتورة مفيدة و إفتكرت إنى كنت فى غيبوبة .. أبدا ، أنا كنت بعبر الحياة و يسوع ورانى حلاوة العبور علشان . أطمن فى ساعة إنتقالى اللى قربت

و فى إحدى الليالى حوالى الثانية بعد نصف الليل أيقظتنى و هى تقول : يا أنسى أوعى تخاف من حاجة .. كل اللى أنا شايفاهم دول برة الأوضة .. أسألها مين دول ؟ تقول الجماعة الكتار قوى اللى شكلهم مفزع و لونهم أسود و طوال خالص ، شايفاهم متزاحمين عشان يدخلوا علينا ..

محدش هيقدر يدخل علينا منهم طول ما الست الجميلة دى واقفة على الباب . دى طمنتنى إنها هتكون واقفة لنا على طول علشان ماحدش يقدر يدخل من الجماعة دول - شايفها يا أنسى أد أيه جميلة و لابسة فستان سماوى خفيف و وشها منور و مادة أيديها على الباب بتصدهم . أشكرك يا رب عشان أنت بتحمينا صحيح .

و طبعا من تكون السيدة النورانية سوى أمنا العذراء ؟ الآن عرفت المعنى الذى نقصده و نحن ندعوها فى صلاة الأجبية قائلين : و عند مفارقة نفسى من جسدى أحضرى عندى و لمؤامرة الأعداء غهزمى و لأبواب الجحيم إغلقى لئلا يبتلعوا نفسى يا عروس بلا عيب للختن الحقيقى .

و ذات ليلة نادت عليا قائلة : شايف يا أنسى النور الهايل اللى ملأ الأوضة ؟ غريبة خالص ، أنا دايما أقول لك عيونى مش قادرة على نور الكهرباء و لو كان ضعيف ، إشمعنى النور دة قادرة أشوفه و عيونى مرتاحة ، صحيح النور قوى لكنه مريح و حلو خالص .

حقا يا حبيبتنا إنه نور المسيح الذى هو شمس البر و نور العالم ! و هكذا كانت دائما توازن بين آلامها و قسوتها و بين ما يعلنه لها يسوع حبيبها و تقول لنا ليه تتألموا و تنزل دموعكم و تزعلونى - إذا كنت فرحانة بأوجاعى عشان بشوف فيها المسيح و أمجاده ، ليه أنتم تزعلوا ؟ و مرة من المرات كانت متألمة للغاية لدرجة أن وجهها إحتقن بشدة من شدة الألم و أهتز بها السرير إهتزازا من رعشات الألم الشديد - و كان معنا ساعتها أبينا القمص كيرلس داود راعى كنيسة الملاك و بعد الصلاة و - ميخائيل بمصطفى كامل و لما رآها قداسته تألم جدا و صلى صلاة حارة بدموعه بعد إنصراف قداسته قالت لى شفت إزاى كل ألم وراه بركة كبيرة و أكبر منه ، أنا لو ماكنتش تألمت هذا الألم فى وجود أبينا كيرلس مش كنا خسرنا بركة هذه الصلاة المباركة ؟ و هكذا كانت تحلل بالروح كل الأمور طوال معاناتها من مرضها القاسى الفظيع .

هذه عينات من التعزية الغامرة التى عايشتها هذه الروح البارة فى آلامها الجسدية و هى فى الواقع نموذج فريد لمعاملات الله و إحساناته التى لا تستقصى .

لتكن سيرتها عزاء لكل المتألمين و رجاء فى حياة أفضل و إكليلا لا يضمحل و ميراثا محفوظا لنا فى السموات

* * * صعـــــــــدت إلــــــى السمـــــــــاء

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين " : كانت الأخت ليلة شابة فى مقتبل العمر لا تتميز بحسب الظاهر بميزة تبرزها عن الآخرين بل على العكس تماما ، كانت طبيعية فى كل شىء فلم تكن خادمة فى مدارس الأحد و لم يكن لها دور بارز أو أسم رنان ، بل شابة عادية من شابات الكنيسة بالقاهرة .

تزوجت بقريب لها بالأسكندرية و سكنت مجاورة لكنيستنا و كانت تحضر إلى القداسات و العشيات ، قليلة الأختلاط بالناس ، و كانت من حين لآخر تأتى معترفة لله أمامى فى أثناء العشيات .

و كنت أحسد هذه الأخت - إن صح هذا التعبير - على نقاوة قلبها و شفافية روحها ، و كيف أنها صارت أم لطفلين و رغم ذلك مازالت تحتفظ بهذا القلب البرىء و النفس التى لم تتسخ بالعالم .

كانت فى حياتها الزوجية مثالا رفيعا للأخلاص و المودة و قد نفذت حرفيا وصية الرب " لا تغرب الشمس على غيظكم " نفذتها حرفيا ، حتى أنه لم يمض يوم واحد وهى فى خصام مع زوجها ، بل عندما كان يحدث شىء من سوء الفهم كانت تسرع إلى الغفران و الصفح و الأعتذار ، فكان قلبهم نظيفا نقيا ، ألم يقل الرب طوبى لأنقياء القلب ؟ أن ظل

كانت بنتها الكرى أربع سنوات ، و كان طفلها الصغير إبن السنتين متعلقا بها بشكل منقطع النظير ، و كانت هذه الظاهرة محل حديث الكثيرين ممن حولها ، إذ أن الطفل لم يكن يستطيع أن يفارقها لهذا لحظة واحدة ، حتى إنها ما كانت تستطيع دخول الحمام بدونه . كان الأهل يبدون قلقهم الوضع أما هى فكانت هادئة دائما مملوءة سلاما لا يزعجها شىء
فى أحد الأيام ، حضر زوجها من العمل بحسب عادته بعد الظهر ، فوجد كل شىء فى المنزل كالعادة جميلا نظيفا، و قد أعدت الطعام و رتبت المائدة و كل شىء على ما يرام . تناولوا الطعام ، و ارتاح الزوج قليلا ثم قام و تهيأ للخروج لعمله المسائى ، و لكنها قالت له لا تنزل اليوم فتعجب جدا و قال لماذا ؟

. أجابته أنا عاوزاك

ماذا تريدين ؟ ألا تعلمين إنى مرتبط بالعمل و لا أستطيع أن أتأخر ؟ -

فلما شددت عليه الطلب ، و زاد هو فى الأستفسار ، قالت له : أنا سأموت اليوم فكاد يشل تفكيره ، و هو واقف أمامها فى ذهول مطلق ، ما هذا الكلام ، إنك فى كامل الصحة و ريعان الشباب ؟ قالت فى هدوء ، أرجوك إن هذا ما سيحدث .. و لم تكد تنطق بهذه الكلمات حتى جلست على كرسى كان بجوارها و شحب لونها فى لحظات و غابت عن الوعى . وقف الزوج مذهول مما يحدث حوله يكاد لا يصدق أنه فى صحوه ، و بدأ يصرخ و الأطفال حوله فى منظر مأساوى . و بدأ يضرب بيده على خدها لعلها تفيق من إغمائها لمدة لحظات ، فإذا بها تفتح عينيها ثم تتقيأ و تنفست و عادت إلى وعيها . كاد زوجها يطير من الفرح ، و قال لها نشكر الله أنت بخير ، لقد كدت أجن من لحظات .. فقاطعته قائلة : أسمع لقد مت فعلا و ذهبت إلى الفردوس و تقابلت مع كثير من الذين إنطلقوا ، و تكلمت مع بابا " و كان قد سبقها إلى السماء منذ سنوات " و قال لى لا يا بنتى أنت صغيرة و أطفالك صغار ، عودى . و لكن لا أنا عارفة أننى سأموت - السماء جميلة ،

. أرجوك تمسك بالله و أحفظ وصاياه و رب الأولاد فى مخافة الرب

و إذ قالت هذا رقدت فى الرب ، حاول الرجل أن يعمل كل ما فى طاقة البشر و لكن الأمر كان قد صدر من قبل الرب . بعد ساعات كان الجميع فى المنزل ، و كان إلى جانب هذه الأحداث المفجعة موضوع يطرح نفسه بشدة ، مشكلة الطفل الصغير شديد التعلق بأمه و تصور الغالبية من الحاضرين أن هذا الطفل سوف لا يستطيع البقاء بعد أمه ، سوف يموت من الحزن عليها ، لم يكن يحتمل غيابها ساعات كيف يحتمل غيابها للأبد ؟
و لكن الله العامل ، لكى يكرم هذه الأخت البارة و يعزى من حولها بأنها و هى فى السماء تستطيع أن تخدم أطفالها و تشفع فيهم أعطى الرب هذا الطفل الصغير سلاما و برودة فلم يطلب أمه و لم يبكى . و قد أعادت هذه الأحداث إلى الذهن قصة إحدى الشهيدات الموعوظات التى وضعت طفلها فى السجن و هى على ذمة الأستشهاد، فاحتجز الحراس طفلها و كانوا لا يطعمونه لمدة يوم كامل و يأتون بالطفل و هو يصرخ أمامها لكى يشنوها عن إيمانها ، فكانت هى تصلى

. بحرارة و إشتياق عظيم فكانت النعمة تشبع الطفل الرضيع فلا يصرخ

تكرر هذا العمل الألهى المعجزى بصورة ما فى حياة هذه الأسرة . حتى بعد شهور من إنطلاق الأم عندما كانوا يعرضون بعض الصور الفوتوغرافية أمام الطفل كان يتعرف على جميع من فى الصورة من الأقارب و يناديهم بأسمائهم إلى أن يأتى إلى صورة أمه ، و كأنه لا يعرفها . فكان يصمت و لا يجيب . و عاش الطفل طبيعيا و قد سكب الرب فى قلبه و قلب باقى الأسرة عزاءا

. فوق العادة و كانت قصة إنطلاق هذه البارة سبب توبة و عزاء للكثيرين

* * * فقـراء و نحن نغـنى كثيرين * * *

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين " : مات زوجها و كان عاملا فقيرا و ترك لها طفلين . و كانوا يسكنون فى حجرة ضيقة بأحد الأحياء الفقيرة . و لم يكن لهذه الأرملة سند ، لا من مال و لا من رجال و كانت ترفض أن يكون لها سوى المسيح الذى كانت تطلب بحسب وعده أن يكون زوجا للأرملة و أبا للأيتام .

كان يقينها الشديد برعاية الله و عنايته و إيمانها بوجوده فى حياتها يخجلنى خجلا شديدا ، و كنت أود من كل قلبى أن أعرض صورة هذه الأرملة الفقيرة أمام الذين يتذمرون و يسخطون و هم غير شاكرين و لا مكتفين بما عندهم ، رغم كثرة ما يملكون .

كانت بصعوبة شديدة و بعد إلحاح منى تقبل شيئا من المساعدة ، و أخيرا أقترحت أن تعمل بيديها ما دام لها قدرة على العمل .. و فى الحقيقة لم تكن لها قدرة على العمل بسبب ضعفها و ضيق ظروفها و لكننى شجعتها على العمل لكى يكون مبررا لمساعدتها دون أن ترفض ، فكانت تعمل بعض الأعمال المنزلية على قدر طاقتها و كنا نحاول ان نعطيها فكانت لا تقبل سوى الكفاف .

كان مسلكها يبكتنى ، قناعتها ، فرحها الروحى ، صلواتها المتصلة الدائمة و تسبيحها و هى تعمل بيديها ، شكرها العميق لله على أقل نصيب ممكن من أمور هذه الحياة .

و من الأمور العجيبة التى أكتشفتها بالصدفة إنها كانت تدخر من القروش القليلة التى كانت تصل إلى يديها .. فقد وجدتها مرة فى دير القديس مارمينا و لم يكن فى ذلك اليوم رحلات و لا عربات ، سألتها كيف حضرت إلى هنا ؟ قالت بالقطار ثم سيرا على الأقدام . و قد علمت إنها خبزت خبزا بما إدخرته و حملت الخبز على رأسها كل هذا الطريق إلى الدير . إننى أعرف إنها متعلقة بالقديس مارمينا ، و لكن هل إلى هذا الحد ؟ و قضت باقى اليوم تغسل و تخدم و تمسح الأرض بفرح عجيب و سعادة غامرة . إنها حقا تعطى كما قال الرب " من أعوازها بل كل معيشتها" .

مثل أيام أليشع : جاء أبنها الأصغر - 6 سنوات - من الدرسة و طلب شيئا ليأكل ، و قالت الأم ليس عندنا شىء و لكن اذهب و أشترى لنفسك بقرش فولا ، و كان هذا هو كل ما تملك فى ذلك اليوم . ذهب الولد و عاد بطبق الفول ، وضع قليلا من الملح ثم طلب زيتا ، و لم يكن عندها و لا دهنة زيت و قد غسلت أربعة زجاجات كانت عندها ، و وضعت الزجاجات نظيفة مقلوبة على فوهتها تحت منضدة صغيرة بالحجرة خلف ستارة هى قطعة من قماش قديم .

تأسفت لأبنها عن عدم وجود زيت ، و طمأنته أنه عما قريب سيرسل الرب لها نقودا لأجل التموين . فصرخ الولد متبرما و محتجا من إنه لابد من وجود زيت ، و كانت هى بهدوء شديد و قلب منكسر تطيب خاطره و تهدىء من روعه ، و تحثه أن يشكر الله المعتنى بهم ، و رشمت له الصليب على طبق الفول و قالت له كل يابنى ، و لكن الولد فى إصراره و عناده ، قال لأمه " أنتى مخبية الزيت و أنا لازم أجيب الزيت " ، و مد الولد يده خلف الستارة تحت المنضدة حيث الزجاجات و إذا به يخرج الزيت .. و لكن المرأة يده و الزجاجة ملآنة إلى آخرها . زاد الولد فى الصراخ مؤكدا إنها أخفت عنه بحاستها الروحية أدركت بسرعة فائقة أن الرب عظم الصنيع معها ، فأجابت الطفل بفطنة قائلة سامحنى يابنى نسيتها . و وضع الولد الزيت و قالت له ينبغى لنا أن نشكر الله ، فصلى و أكل .

و قد جاءتنى المرأة يومها و هى تسبح الله ، لقد وجدت الأربع زجاجات ملأى بالزيت فأرسلت زجاجتين لدير مارمينا و ذهبت بواحدة إلى الكنيسة المرقسية و أحتفظت بواحدة لها .

و حفظت هذا السر فى قلبها لم تخبر به أحدا من الناس لأنها كانت تشعر أن معاملات الله معها و رعايته لها هى أمور خاصة جدا لا يجب إذاعتها .

لقد آمنت بأن الله أخذ مكان زوجها و قد حقق وعده معها إنه زوج الأرملة و أب الأيتام . و كان لها منهج الأباء القديسين فى إنكار الذات و إن كان الرب يعمل معهم آيات خارقة و لكنهم احتفظوا بإتضاعهم كدرع واق ضد مكائد العدو

* * * مغبـوط هو العطـاء

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين " : عم فريد رجل وقور ، أب لأولاد كثيرين ، إمتاز بطيبة قلب غير عادية ، و كانت حياته فى جملتها تغطيها فضيلة الحب المسيحى النابع من القلب فهو محب للجميع .. لم تكن بينه و بينه إنسان يوما خصومة ، بل بالعكس عاش صانع للسلام تلميذا لسيده ملك السلام ، فكان بلسما لكل الجراح ، ما حل فى مكان إلا و أشاع فيه سلاما و حبا .

هكذا فى الحقيقة أولاد الله ، حينما يعيشون فى الوصية و ينعمون بعطايا النعمة فإنهم يعطونها فى بساطة و فيض ، بالعمل و الحياة أكثر من الكلام . و هكذا كان الرجل ، قليلا فى كلامه مؤثرا فى وجوده ..

و قد ترك الرجل هذه الثمرة حية فى أولاده ، فهم فى حب كاملٍ بعضهم لبعض ، لم تشب شائبة من شوائب المادية محبتهم و لم يدخل الفتور فى علاقتهم رغم بُعد المسافة بينهم . و يرجع الفضل فى هذه الصورة الجميلة للحب الحقيقى لهذا الوالد الذى عاش متعلقا بوصية المسيح كل غربته على الأرض أيام .

ثمة علامة جميلة أخرى زينت حياته بزينة مقدسة ، فقد كان متعلقا بقول الرب " مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ " فكان أن أختبر بعمق لذة العطاء ، فلم تهىء له النعمة فرصة للعطاء إلا و أغتنمها بفرح ، و هكذا كان سخيا على الجميع و نما فى الفضيلة .

و قد خرج العطاء فى حياته عن المفهوم التقليدى ، فصار رقيقا حنونا إلى أبعد الحدود . كان ينادى على من يراه فقيرا أو ضعيفا من الباعة الجائلين و يسأله عما يبيعه ، و عن السعر الذى يبيع به ، فإن قال الرجل مثلا 20 قرش للكيلو ، يقول له لا يا ابنى هذا قليل ، المفروض 25 قرش ، ثم يقول له زن 4 كيلوات . و عندما كان يسمع به أحد من داخل المنزل و يعترض على السعر الغالى أو رداءة الصنف ، كان يقول للبائع بإشارة خفية : لا بأس كما يقولون لك إقبل و أنا أعوضك ، و بعد أن ينصرف البائع كان عم فريد يسرع للشباك و يلقى بالنقود إلى البائع و يقول له : " روح يابنى ربنا يبارك لك " . هكذا كان يؤمن أن بذبائح مثل هذه يسر الرب .

و قد تميزت حياة عم فريد بإتضاع عجيب جدا ، فهو بحسب وصايا سيده صاحب المتكأ الأخير ، و خادم للكبار والصغار .

عندما قرب إنتهاء أيام غربة هذا البار ، مرض قليلا و قد أعلن له الرب يوم إنطلاقه من هذا العالم قبلها بثلاثة أيام ، فدعا زوجته و أولاده حوله ، ثم أمسك بيد زوجته و قال سامحينى أنت أبر منى ، و تعجب الجميع من هذا ، و أبتدأ يوصى أولاده بالوصية العظمى التى كانت عندنا منذ البدء ، المحبة لا تسقط أبدا ، و بكوا قائلين أنت بخير و بصحة جيدة ، فقال لهم غدا أتناول من الأسرار و بعد

غد سيفتقدنى المسيح . و قد كان .. أحضر له الكاهن التناول ثم فى اليوم الذى يليه إنطلق هذا البار إلى الأخدار و المساكن العلوية و أعماله الصالحة تتبعه .

و كان قد طلب من أبنته " مقيمة بالأسكندرية " و هى بجانب فراشه ، قولى لأبونا تادرس و أبونا صليب أن يصلوا من أجلى لكى ينيح الرب نفسى فى فردوس النعيم .. و العجيب جدا إنه عند نياحته سافر أبونا تادرس و أبونا صليب ليشتركا فى تشييع الجنازة دون أن يعلما شيئا و لكن تدبير المسيح شاء أن يحقق للرجل البار كلمته الأخيرة ليشهد بهذا إنه وجد نعمة فى عينى الله و لم تسقط كلمة من كلامه

إنـــــــاء مختـــــــــار

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين " :

القول الذى قاله الرب لحنانيا عن بولس الرسول إنه إناء مختار قول عجيب حقا .. فالرب له آنية مختارة فى كل زمان و مكان ، و هذه الآنية قد تكون تعيش قبلاً فى غير طريق دعوتها التى ذاتها إنها دُعيت إليها ، أو تكون تائهة فى متاهات العالم ، أو هى لا تدرك بعد دعوتها ، و لا تعرف مختارة إلى أن يجىء ملء الزمان ، و تتحقق للنفس دعوتها ، فتسير فى طريق خلاصها و تكرس ذاتها للذى دعاها .

من هذه النفوس المختارة ، شاب أمريكى جاء إلى من سان فرانسيسكو سنة 1979 فى صحبة أحد الأحباء .. قال لى " إن لهذا الشاب قصة عجيبة فى الإيمان بالمسيح أود لو تسمعها ، و قد أحضرته ليتزود من المعرفة و الإيمان ، ليقبل العماد المقدس . "

جلست مع هذا الشاب ، و كان شاباً يافعاً طويل القامة جداً ، رقيق الملامح .. ظل يحكى تفاصيل قصته المثيرة ، قال لى إنه شاب يهودى من أسرة متدينة ، محافظة جداً ، رغم إنهم يسكنون فى منطقة تكثر فيها الإغراءات و الخطايا . و لكنه كان مواظباً على حضور المجمع اليهودى كل سبت ، و على تنفيذ الأوامر و الوصايا و الشرعية الموسوية بقدر الإمكان .. كان يعمل مديراً لأعمال سيدة ثرية جداً ، أوكلت إليه إدارة أعمالها و ثروتها الطائلة . و كان أميناً فى عمله باذلاً نفسه على قدر الطاقة بل و فوق طاقته أحياناً .

كانت السيدة فى الأربعينات من عمرها ، تحيا حياة الترف المطلق ، تحيا فى خلاعة .. و كان الشاب فى الثامنة و العشرين من عمره . و كان كلما زاد فى إخلاصه و تفانيه فى عمله ، زادت فى تقديره و أغدقت عليه .. و كان هو سعيداً فى عمله و كان تقديرها له يزيده أمانة و إخلاصاً . ثم حدث ما لم يكن فى حسبانه ، لقد تعلقت به و أحبته ، و بدأت تراوده عن نفسها .. لم يكن يفكر مطلقاً فى مثل هذا الأمر ، و كان هذا الشىء الذى تطلبه بثير فى نفسه إشمئزازاً عجيباً . كبريائها قد جُرح ، كيف يجسر فكان يتحين الفرص للهروب منها .. و يكثر الإنشغال .. فكانت و كأن و هو مجرد موظف عندها أن يرفض لها أمراً . فلما إزدادت فى الإلحاح و إزداد هو فى الرفض ، عزت عليها كرامتها ، فإبتدأت سلسلة من المضايقات ، و كان يحتملها بهدوء .

و ذات يوم ، صار تهديدها واضحاً لدرجة أن قالت له إن لم يخضع لرغبتها فإنها سوف تنتقم منه ، لم تمض سوى أيام و بدون سابق إنذار ، حتى وجد البوليس يقبض عليه و يلقيه فى السجن .. لقد لفقت له هى و محاميها تهمة تبديد أموال و إهمال جسيم و كلها تهم باطلة لا أساس لها من الصحة . و لكن السيدة صاحبة نفوذ و أموال .

دخل الشاب السجن تحت ضغوط نفسية شديدة و إحساس بالظلم ، و إنتظر يوماً و إثنين ريثما يكتمل التحقيق . و حدث أن مر على المساجين قس إنجليكانى .. تكلم مع الشاب ، ثم ترك له إنجيلاً .. و لكنه يهودى لا يؤمن بالإنجيل ، لا يعرفه و لا يقرأه ، ثم هو متدين و متعصب ليهوديته .. وضع الإنجيل جانباً . و لكن الوقت فى السجن يتحرك ببطء شديد ، و الملل قاتل .. مد يده و أمسك بالإنجيل ، يقرأه لعله يقطع شيئاً من الوقت ، فكر فى نفسه قائلاً " إنه لا ضرر إذا قرأ " و فعلا بدأ يقرأ .. و كانت معجزة إشباع الجموع ثم محنة التلاميذ فى السفينة التى كادت تغرق ثم يسوع يأتى إليهم ماشياً على الماء و ينتهر الرياح فتسكت الأمواج بسلطان عجيب .. تأثر قلبه تأثراً عجيباً لم يعرفه من قل .. و وجد نفسه يصلى صلاة غير معتادة ، وجد نفسه يقول للرب ، أحقاً هذا الكلام ؟ أهى قدرتك العجيبة و سلطانك على الطبيعة و قوتك على دفع الخطر عن تلاميذك ؟ إن أخرجتنى من هذا الظلم اليوم ، صرت لك عبداً كل الأيام .. و لم تمض ساعة واحدة حتى طُلب ليقف أمام النائب العام .. و الذى إستجوبه سائلاً إياه أسئلة دقيقة ، و إذ أجابه بصدق أمر للحال بالإفراج عنه و بلا كفالة ... لم يصدق نفسه من الفرح ، بل فاض فى قلبه نور إيمان المسيح .. إشراق كأنه الشمس فى وضح النهار .. حب قلبى فاض فى داخله .

سجد على الأرض ، يشكر المسيح الإله القادر على كل شىء ، ثم ذهب إلى بيته متهللاً و ما أن إلتقى بالأخ ، و كان يسكن بجواره ، حتى طلب منه أن يقوده إلى كاهن لكى يعتمد .. و ما أن أتيحت لهما فرصة حتى حضرا .. كان قد قرأ كثيراً فى الإنجيل بتأثر بالغ ، و كان الأخ يعلمه الإيمان الأرثوذكسى و يحكى له من تاريخ الكنيسة على قدر ما يسمح به الوقت .

كم فرحت بهذا الشاب الطاهر ، و إستبقيته عندى أياماً أعلمه و أشرح له العهد القديم الذى يعرفه تماماً ، و لكن إذ عرفه على نور المسيح ، تحقق أنه كان رمزا و ظلاً .. و بعد قليل نال نعمة الروح المعزى ، إذ قبل المعمودية المقدسة ، و صار فى المسيح يسوع خليقة جديدة ، إذ أن الأشياء العتيقة قد مضت .

القديس مارجرجس و النجدة السريعة

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين " :

جاءنى خادم الكنيسة ، و كنت ساعتها فى حجرة المعمودية ، أتمم السر المقدس لأحد الأطفال ، و قال لى إن سيدة بالباب هى و والدتها تطلب أن تراك ، قلت له حالما أنتهى من العماد إدخلهما إلى هنا .

دخلت السيدة و والدتها .. مرتعدتين فى خوف و حذر و سلمتا على ، أدركت للحال أنهما غريبتان عن الكنيسة و ربما كانت هذه أول مرة تتقابلان مع كاهن ، أو لعلهما لم تدخلا كنيسة من قبل .. فرحبت بهما و أذنت لهما بالجلوس .. و قلت " كيف أستطيع أن أخدمكما ؟ " فلما هدأت الشابة بدأت تقص على قصة غريبة .. قالت " نحن كما ترى غير مسيحيين و لكننا من أسرة متدينة محافظة ، و نعيش فى سلام مع جيراننا و منهم أسرة مسيحية تربطنا بها أواصر محبة .. و قد صحبتنا السيدة جارتنا المسيحية إلى هنا و أدخلتنا لأننا لا عهد لنا بدخول الكنيسة .. منذ شبابى المبكر و أنا أحب سانت تريز ، لقد سمعت عنها فى المدرسة و أطلعت على سيرتها فأحببت فيها الرقة فى المشاعر ، و إحتمال المرض و الشكر عليه ، و أحسست أن حياتها الهادئة الوادعة هى أفضل حياة ، و لست أدرى كيف صارت كأنها صديقتى ، أتكلم معها و أحبها و زادت علاقتى بها ، فأحببت كل ما أحبت فى حياتها و تمنيت لو أحيا على مثالها . و منذ سنوات تقدم لخطبتى شاب

متدين من أسرة معروفة لنا ، و يشغل وظيفة محترمة و يواظب على الفروض المفروضة علينا فى ديننا ، و هو رجل ملتحى و على خلق طيب محترم من جميع الناس . و تمت خطبتى إليه ثم إرتبطنا بالزواج ... و من الأمور التى لا أنساها إنه قبل زفافى بيوم واحد رأيت فى رؤيا بالليل أن سانت تريز تقدم لى باقة من الورود .. و كم فرحت بها .. لم يكن شيء يفرحنى فى يوم زفافى أكثر مما فرحت بهذه الهدية و كانها تبارك حياتى " .

قلت لها " شيء جميل .. إن القديسيين و هم فى السماء يحسون بالذين يرتبطون بهم على الأرض " . ثم أستمرت فى تكملة قصتها قائلة " سارت حياتى هادئة طبيعية لا يعكر صفوها سوى حلم مزعج أخذ يتكرر على مدار سنة كاملة بين الحين و الآخر " . قلت لها " و ما هو ؟ " . قالت " كنت أرى و كأن شخصا غريبا مزعجا جدا و شكله قبيح للغاية ، شرس و كأنه بلا رحمة .. كان يطاردنى و كأنه يريد أن يعتدى على .. و كنت أفزع منه أيما فزع . و كنت يوم أن أحلم هذا الحلم المزعج أقوم من نومى منهكة القوى مشتتة الذهن و كأنى مريضة . و كان زوجى يسألنى عن حالى فكنت أقص له هذا الأمر ، فكان يهون على مرة و مرة أخرى يسخر منى . و مرة نذهب إلى أحد المشايخ أو أصحاب المعرفة فكان كل منهم يقول كلاماً أما واقع الأمر فبقى كما هو .. فإزداد إضطرابى ، حتى إنى كنت أكره النوم خشيةً ما أعانيه أثناء أحلامى هذه . و بالأمس نمت حوالى العاشرة و النصف مساءاً .. و فى نصف الليل تكررِ هذا الكابوس المزعج .. طاردنى الشبح المخيف .. و ياللهول .. لقد لحق بى و طرحنى أرضاً و وقع على .. شعرت لحظتها أن ظلمة كثيفة قد غشيتنى ، بل وقعت الظلمة فى داخلى ، كدت أموت . لم أكن أستطيع التنفس من شدة الخوف و الألم . و لكنى كنت بما بقى فى من قدرة هزيلة و صوت خافت كأنه من بئر سحيق أقول " يا رب خلصنى ... يا رب نجنى " . و للحال .. سمعت جلبة قوية .. كأرجل حصان يركض .. حتى إقترب منى و أنا فى حالتى هذه .. فتحت عينى فى خوف فرأيت منظراً من نور . إنسان راكب جواد و ممسك بحربة فى يده . وجهه جميل منير و منظره كله بهاء ، حتى حصانه كأنه منير .. ثم صار صوت من راكب الفرس ، و إذ هو ينتهر الظلمة التى فى داخلى .. أن أخرج منها .. فجاوبه بجفاء أن لا ، و حدثت مجادلة صعبة ، و أنا أسمع بخوف و فزع شديد . فلما دام داخلى كظلمة .. بادره راكب الفرس بطعنة من حربته بقوة فائقة ، فجاءت عناد الشبح الذى رب الطعنة فى صدرى و نفذت الحربة من ظهرى .. و فى الحال إنقشعت الظلمة من نفسى تماما و حل بى نور و سلام و هدوء عجيب . افقت فى لحظتها .. فلما فتحت عينى وجدت زوجى جالسا على السرير فى حالة من الخوف و الهلع . قلت له " مالك جالس هكذا ؟ " قال " هل أنت بخير ؟" قلت له " الحمد لله أنا بخير " . و جلست و قصصت عليه ما حدث لى تماما و أنا متأثرة غاية التأثر ، فقال " هونى على نفسك و دعك من هذه التخاريف " . و حاولت جاهدة أن أعرف ما الذى أيقظه أو ماذا رأى أو سمع فلم يجيبنى بكلمة .

و فى الصباح قمت فرحة سعيدة ، و عندما كنت أبدل ملابسى وجدت ملابسى الداخلية ملطخة بالدم - و أخرجت ملابسها من كيس بيدها و إذا دائرة من الأمام و من الخلف أثر الحربة التى طعنها هذا الفارس العجيب .

سألتها و قد اصابتنى دهشة غامرة " هل تعرفى البطل مارجرجس ؟ " قالت " لا " قلت لها " تعالى ورائى " و ذهبت بها إلى حيث أيقونة الشهيد العظيم مارجرجس ، فلما رأت الأيقونة هتفت بصوت صراخ " هو هو " فجلست أتكلم معها عن سيرة أمير الشهداء .. و هى تصغى و قد أشرق وجهها متهللاً . و قلت لها " رغم عدم معرفتك بمارجرجس و كونك لم تدعيه أو تطلبيه للمعونة .. و لكنك عندما طلبت إلى الله أن يخلصك فإن الله تبارك أسمه يستجيب فى الحال ، فأرسل إليك أحد رجاله القديسين و هو قوى و سريع فى المعونة و قاهر للشياطين . إن مارجرجس فارس

شجاع ، و لما كان على الأرض كان حصانه مشهوراً بالأقدام ، فلما صار شهيداً للمسيح فى السماء أصبح حصانه المنير الذى رأيته تعبيراً عن قوة الله ، أما الحربة التى يمسكها فهى ليست مادية بل هى الصليب المقدس العلامة التى تخيف الشياطين و تكسر شوكتهم " . ثم علمتها كيف ترشم الصليب المقدس و تتعلق به و قد صارت هذه بداية عجيبة لقصة حياة أعجب ، إبتدأتها القديسة تريز بصداقة بسيطة و أكملها البطل الشجاع أمير الشهداء بحربته القوية ، صلواتهم تشملنا و تحرسنا و تحرس أولادنا .. آمين يا رب ..

أنار البصيرة

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين " : من النفوس التى قبلت الإيمان و دخلت حظيرة المسيح الراعى الصالح ، و هى متقدمة فى السن ، توجد عينات مختارة بالحق قبل أن تتصور فى الرحم ، و قد بدا إختيارها واضحا وضوح الشمس فى وضح النهار . و قد شاهدنا ذلك بإعيننا فصار فينا عزاء بالنعمة و الرجاء .

إن كنيسة المسيح ستظل تلد أبناء للمسيح إلى مدى الدهور لأن الروح القدس الذى يخصبها ، كائن فيها و حال حلولا دائما . و لأن الكنيسة لا تشيخ و لا يعتريها العقم بل هى مخصبة و ولود . و هذه عينة ممن وضعتهم النعمة فى طريقنا للعزاء و التشجيع ، و رأينا أنه من الواجب أن تتعزى نفوس كثيرة بالتعزية التى نلناها من الله .

من هذه النفوس إحدى السيدات ، قبلت الإيمان و هى فى أواخر الأربعينات من عمرها و هى أم لأولاد و بنات ، و لما إنفتح قلبها للرب ، إنفتح بلا مانع و بلا عائق فأحبت الرب حباً فائقاً غامراً و تمتعت بصليب المسيح و دمه الغالى أيما تمتع .

فكانت بعد أن نالت نعمة العماد مواظبة على الصلاة و حضور القداسات و التناول من الأسرار بشغف و جوع و عطش لا يُعبر عنه .

و فى إبريل سنة 1979 كنت أعمد مجموعة من الأمريكان بكنيسة مارمرقس الكاروز فى لوس إنجلوس و فى أثناء دورتهم فى الكنيسة بعد القداس ، و هم لابسون ثياباً بيضاء و ممسكون بالشموع الموقدة ، كانت هذه السيدة تزغرد بصوت عالى ، و كان السرور مع دموع غزيرة تهطل من عينيها . و كانت تقول " أنا الوحيدة التى أشعر بما يشعرون و أعرف قيمة النعمة التى حصلوا عليها .. لأنكم تعمدتم أطفالاً فكبرتم فى النعمة ، أما أنا فحرمت منها زماناً هذا مدته ، فلما أعطانى الرب أن اذوق طعم حبه ، صرت أقدر مدى سخاء المسيح و نعمته المتفاضلة علىّ " .

و كانت تقول لى " لو جاز أن يكون فى الحياة المسيحية حسد ، فإنى أحسد الذين ولدوا فى النعمة منذ نعومة أظافرهم و شبوا فيها و تمتعوا بها مدى الحياة " . و كنت أقول لها " إن النعمة ليس لها قياس ، فليس بكيل يعطى الله الروح ، و ما يمكن أن يحصل عليه إنسان فى لحظة من الزمان قد لا يقاس بما يحصل عليه آخر فى سنوات و سنوات " .

" هكذا يكون الآخرون أولين و الأولون آخرين . لأن كثيرين يدعون و قليلين ينتخبون " .

و كانت السيدة فى بساطة القلب ، و بساطة الإيمان تفرح بالكلمة فرحاً روحياً عجيباً ، و كانت تستوعبها بقامة روحية فاقت كثيرين ممن طال عهدهم فى الكنيسة . و كانت هناك عقبة فى سبيل نمو هذه السيدة ، فهى أمية لا تعرف القراءة و الكتابة . و كانت تتعذب إذ أنها تريد أن تغترف لنفسها من ينابيع الحياة و تزداد فى المعرفة .. تريد أن تقرأ الإنجيل ، و تصلى المزامير ، فقد كان مصدر معرفتها الوحيد هو السماع . تسمع الكلمات فى العظات و تسمع الألحان ، و

قراءة الإنجيل ، و لكنها لا تستطيع أن تستزيد بنفسها ، فالكتب بالنسبة لها شىء مختوم .. و حدث أنه مع الأيام التى كانت تتردد فيها على الكنيسة ، أنه زاد شوقها إلى المعرفة ، و حينها إلى القراءة فى كلمة الله .

و فى أحد الأيام كان الشماس يوزع المزامير على جموع المصلين فى بداية القداس .. ثم عبر بها و وزع عليها مزمورا ، فهزت رأسها و لم تكن فى يدها أجبية ، و قد تأثرت تأثراً بالغا . و بعد القداس الإلهى عادت إلى منزلها و دخت حجرتها ، و قالت للرب بدالة عجيبة " كيف أن جميع الناس يتمتعون بك و يصلون لك و أنا محرومة من هذه النعمة " .. و توسلت إليه قائلة " لابد أن تعطينى هذه النعمة لأقرأ " و كانت تبكى بحرقة قلب .

و ياللعجب ، فتحت الأجبية فى يدها ، و كان أن الرب أنار ذهنها فقرأت للحال بدون معلم ، و هى لا تكاد تعرف الألف من الياء . و جاءتنى مسرعة فى حالة من الفرح و التهليل ، تكاد تطير .. و كم كانت دهشتى إذ صارت تقرأ المزامير أمامى بطلاقة و بدون أخطاء .. و مجدت الذى قال - و هو الصادق فى مواعيده - " لا يعلم كل واحد أخاه أو كل واحد إبن مدينته قائلا إعرف الرب لأن الجميع سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم " ، " و أيضاً يكون الجميع متعلمين من الله " .

سلام سلام للقريب و البعيد

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين " :

الأخ مظلوم كان زميلا لنا فى الدراسة بالجامعة و كان ذلك فى أواخر الخمسينات .. و كانت مجموعة الزملاء متآلفة بمحبة مسيحية . و كنا قد فكرنا فى السنة الأولى لإلتحاقنا بالجامعة فى عقد إجتماع خاص بنا فى الكنيسة . حيث نجتمع لنصلى و ندرس الكتاب المقدس و تزداد علاقتنا تآلفا و محبة . على هذا كنا كمجموعة تربطنا علاقة الزمالة بالجامعة و المحبة الأخوية بالكنيسة فإزدادت أواصر المحبة يوما بعد يوم ... و مرت السنوات و تخرجنا و مضى كل واحد إلى حال سبيله بحسب ما هيأ له الله .

سافر البعض إلى أمريكا و البعض إلى روسيا و إنجلترا .. و الغالبية كانوا فى القاهرة و الإسكندرية . بعد سنوات قليلة كان الأخ مظلوم يعمل فى الطب الشرعى و قد أصيب بمرض صدرى ظنوا إنه درن أو بعض الإلتهابات التى أصابت رئتيه ، و ظل يُعالج زمانا حتى فحصه أستاذ العينى و قرر أن يعمل له عملية جراحية ، و دخل أخونا حجرة العمليات .. يومها غاب بالقصر الأستاذ لسبب أو لآخر فقام أحد الأطباء النواب بإجراء العملية حسب ما تراءى له .. استأصل جزءا كبيرا من الرئة و هتك ما هتك ، و قام مظلوم من العملية أسوأ مما كان بما لا يقاس .
عاوده الأستاذ ، و إذ رأى حالته ظل يسب و يلعن و يلوم . ثم بعد أسابيع قرر إجراء عملية لإزالة آثار العملية الأولى و إصلاح الحالة .

دخل أخونا مرة أخرى ، و يومها عمل الأستاذ جراحة عجيبة .. أزال ضلعين من القفص الصدرى تماما لكى يعطى مكانا أوسع للرئة . و قام هذا الأخ من العملية فى حال أسوأ و صار منظره يثير

الشفقة حقا كأنه معوق . و قد تركت هذه الظروف أثرا عميقا فى أخوته الأربعة ، إذ كان هو الأخ الذكر الوحيد . كان الجميع يتألمون لكن لا وسيلة لهم سوى الصلاة و التضرع إلى الله و التشفع بالقديسيين .

و كانت كلما وصلت الأخبار للأخوة الذين فى الخارج ، إذ كانوا يتتبعون أخباره بكل إهتمام ، يتألمون أيما تألم .. ثم إتصل بعضهم ببعض و قرروا أن يسافر إلى لندن لعله يجد فرصة أفضل للعلاج .

لم تكن فى قدرة الأخ مظلوم أن يسافر إلى أى مكان إذ كان قد أنفق كل ماله على الأطباء . و لكن الأخوة فى الخارج كانوا يعتبرون أخا حبيبا فتكفلوا بنفقات السفر و العلاج . و سافر مظلوم إلى لندن .. كان فى وداعه أخواته الأربعة و أزواجهن . كان يوما مؤثرا . كانت إحدى أخواته تسكن بالإسكندرية و كانت دائمة الصلة بنا .. و كانت كثيرة الصلاة كثيرة الدموع .

كنت أتابع السؤال عنها ، أستفسر عن حالة أخيها . مضى أسبوع منذ سافر إلى لندن .. سألتها عنه فقالت " لا توجد أخبار ، لا خطاب و لا تليفون " ، ثم مضى أسبوع آخر و ليس من جديد . سألتها " أتعرفين عنوان المستشفى التى نزل فيها ؟ " قالت " لا " فقلت " أتعرفين عنوان الأخ فلان الذى أستقبله فى لندن ؟ " فأجابت أيضا بالنفى .
مضى شهر كامل منذ أن سافر ، و لكن إذ لم نسمع شيئا إزداد القلق و صارت تأتى إلى و عيناها لا تكف عن البكاء .

رفعنا قداسات بإسمه و توسلنا إلى الرب كثيرا و الأيام تمر دون أدنى خبر . كنا نصلى قداسا خاصا لأجله و بعد القداس أمسكت بيدى و هى تصرخ " إعمل حاجة ، مش قادرة أحتمل أكثر من هذا . أخواتى فى القاهرة فى حالة إنهيار " . لم أتمالك نفسى من التأثر و قلت لها " غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله " .
ذهبت لتوها إلى بيتها . دخلت حجرة الجلوس و كان بها أيقونة للسيدة العذراء حاملة الطفل يسوع . صارت تعاتبها عتابا شديدا أقرب إلى العراك . من كل قلبها كانت تكلمها و دموعها تنهمر بلا توقف . ثم إلتفتت إلى العذراء القديسة و صرخت : طمنينى .. لن أتركك حتى أطمئن . و سجدت فى صلاة طويلة ثم قامت ، و جلست على الأرض و أمسكت بكتابها المقدس و قالت " إسمعنى يا رب صوتك .. عرفنى إرادتك " فتحته حسبما إتفق . و يا للعجب وجدت الموضع المكتوب فيه " رأيت طرقه و سأشفيه و أقوده و أرد تعزيات له و لنائحيه .. سلام سلام للبعيد و للقريب . قال الرب و سأشفيه " (اش 57 : 18, 19) .

لم تصدق عينيها و طار قلبها من الفرح ، إمتلأت إيمانا و سلاما ، سجدت ثانية على الأرض تشكر الله .. و أى شكر تستطيع أن تعوض به الله عن هذه التعزية . بكل ثقة قامت .. طلبت أخواتها بالتليفون .. تطير لهم الخبر . سألوها " هل أستلمت خطابا أو ما يطمئن ؟ " قالت " لا بل إستلمت أعظم من الخطاب ، أعظم بما لا يقاس " .

و بالفعل عظم الرب الصنيع معنا . ففى اليوم التالى أستلمت خطابا مطمئنا و توالت الأخبار الطيبة يوما بعد يوم و ما هى إلا شهور قليلة حتى عاد مظلوم من لندن ممتلئا صحة و كان يشعر أن يد حقا ما الله تعمل معه كل يوم . لقد كانت تسنده صلوات كثيرين و إيمان الكثيرين ممن حوله . أعظم جود الرب و ما أصدق مواعيده .

المــلاك الحــــارس

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة ابرار معاصرين " :

كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل - فى كفر النحال بالزقازيق - تقع قريبة جدا من المدافن . و هى فى منطقة فقيرة و معظم المساكن المجاورة للكنيسة يسكنها غير مسيحيين ، و قد شهدت تلك الكنيسة منذ نشأتها ألوانا من الإعتداءات ، من حريق إلى تكسير .. و ما إلى ذلك ، و لكنها محفوظة بعناية إلهية .

فى سنة **1946** كان يخدم الكنيسة راهب بسيط .. كان متوكلا على الله ، و كان بحسب إمكانات جيله يخدم الله ، يزور بعض العائلات ، و يصلى قداس الأحد كل أسبوع .. كانت الكنيسة وقتها مبنى صغير محاط بسور مبنى ، و
الباب الخرجى للسور مصنوع من أسياخ حديدية ، و يقفل بقفل من الخارج .

كان هذا الأب يزور أسرة فى غروب أحد أيام الأسبوع ، و كانت من العائلات المتدينة . رب الأسرة رجل ميسور و زوجته إمرأة تقية و لم يكن لهما أولاد لمدة طويلة . و قد رزقهما الله بعد السنين الطويلة طفلا ، كان بالنسبة لهما كأنه نور الحياة ، و كانا شاكرين الله على صنيعه . جلس الأب الراهب مع الرجل و زوجته و طفلهما يتكلمون فى أعمال الله و عجائب قديسيه ، و كان على منضدة بحجرة الجلوس طبق صغير فيه قليل من حبات الترمس ، و كان الطفل الصغير إبن سنة يحبو حول المنضدة ، و يمسك بها تساعده على الوقوف . و فى غفلة من الكبار مد يده إلى الطبق و أخذ حبة ترمس و وضعها فى فمه ، حاول أن يمضغها تفتت فى فمه .. حاول أن يبتلعها فدخلت فى القصبة الهوائية ، و بلا مقدمات وجدوه ملقى على الأرض يسعل سعالا صعبا متلاحقا ، يكاد أن يختنق .

صرخ الأب و الأم منزعجين ، و وقف الراهب متحيرا ماذا يفعل ؟ خطر بباله أن يجرى إلى الكنيسة يحضر زيت قنديل أو ماء اللقان ، لعله يسعف الطفل المسكين ، و فعلا جرى إلى الكنيسة .. و لكنها مقفولة بالقفل الحديدى .. ليس أحد بالداخل .. و قرابنى الكنيسة يبدو أنه أغلقها و ذهب . إحتر الأب ، حاول أن ينادى و لكن لا من مجيب . إنه يريد أن يأخذ أى شىء من الكنيسة و الوقت يمر و الولد فى خطر ، فلما لم يجد شيئا مد يده من بين أسياخ الحديد و أخذ بيده حفنة من التراب ، تراب الكنيسة .. و عاد مسرعا يجرى .. وصل إلى البيت و إذ زحام .. لقد تجمع الجيران على

صراخ الأب و الأم .. الطفل مازال حيا و لكنه لا يقدر على التنفس و قد بدا لونه أزرق .. دخل الأب الراهب بسرعة يكاد يلهث ، دخل إلى حيث الطفل و هو يقبض بيده على التراب ، كشف ملابس و صرخ إلى الله الطفل و عرى صدره ، و وضع تراب الكنيسة كعلامة صليب على صدر الطفل ، متشفعا برئيس الملائكة ميخائيل ، فعطس الطفل عطسات متكررة ، خرجت معها فتات حبة الترمس و للحال بدأ يتنفس طبيعيا .

ذهل كل الواقفين إذ رأوا عمل الله و كانوا يتحدثون بهذه الأعجوبة و يقولون حتى تراب الكنيسة مبروك يعمل به الرب آيات .

لم تكن هذه الحادثة الوحيدة ، فقد تكررت القصص العجيبة فى هذه الكنيسة . فقد حدث أن قام غير المؤمنين فى سنة 1948 بالهجوم على الكنيسة و أحرقوا بعض مقاعدها و بدأ بعضهم يهدم الكنيسة من الداخل ، و قد تمجد رب الكنيسة يومها ، فسقط ماسك الفأس من أعلى حجاب الهيكل و إنشجت رأسه و خرج من الكنيسة مشدوخ الرأس ، ففزع الآخرين الذين كانوا يرمون كرات النار على الكنيسة و نجت الكنيسة بإعجوبة إذ كان رئيس الملائكة الجليل يحرسها .

و تذكر المؤمنون يومها ما حدث لطفلة صغيرة بنت أحد الشمامسة ، كانت قد أرسلتها أمها تسأل عن والدها الذى كان فى غروب أحد الأيام مع مجموعة من الشمامسة يحفظون الألحان ، و إذ تأخر عن الحضور للمنزل ، أرسلت الأم الطفلة - 6 سنوات - فلما دنت هذه إلى الكنيسة ، رأت الملاك ميخائيل و كأنه إنسان كبير جدا واقف بباب الكنيسة و ساقاه بإرتفاع الباب الحديدى ، و يديه كجناحين ممتدين على مبنى الكنيسة حول قبابها ، فخافت الطفلة و صرخت إذ رأت هذا المنظر ، و لكنه إنحنى بقامته العجيبة نحوها يطمئنها ، و يقول لها " يا حبيبتى لا تخافى ، ماذا تطلبين ؟ " قالت له و هى مرتعبة " أنا عاوزة بابا " قال لها " بابا مين ؟ " قالت " بابا فلان " قال لها " نعم كان ههنا مع الشمامسة ، و قد إنتهوا من درس الألحان و مضوا " فقالت " و أنت هنا ماذا تعمل ؟ " قال لها " أنا ميخائيل " " قال " أنا حارس الكنيسة " قالت الطفلة بسذاجة " إسمك أيه ؟ " .

و هكذا كان رئيس الملائكة الجليل سندا و حارسا لهذه الكنيسة ، بل بحسب فكر الآباء هو حارس كل كنيسة و لهذا كانوا يبنون فى كل الأديرة كنيسة على إسم رئيس الملائكة فى الحصن كدليل لقوة شفاعته و حراسته .

مارمرقس الكاروز

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة ابرار معاصرين " :
كنا فى دير الشهيد مارمينا العجايبى فى مارس 1967 و كنا حول المتنيح البابا كيرلس السادس ، كان ذلك يوم أحد من آحاد الصوم الكبير المقدس ، و كان البابا قد أنتهى من صلاة المساء .. و فيما البطريرك خرج من الكنيسة إلتف حوله بعض الأخوة يسألونه عن معونة القديسين و شفاعته

، و تطرق الحديث إلى مارمرقس و مارمينا و القديس مارجرجس ، و الأعاجيب و المعونة التى يحصل عليها المؤمنون بشفاعتهم و طلباتهم المقبولة . فقال البابا " إحنا اللى بنمنع عملهم بأعمالنا إلى و قال " كان الوحشة ، لإنهم يتشفعون فينا على الدوام " سألته " كيف يكون هذا ؟ " فإلتفت البابا كيرلس الخامس يقضى أوقاتا كثيرة فى القلاية بالبطريركية بالإسكندرية و كان فى أيامه رجل جناينى مكلف بالإهتمام بحديقة الكنيسة المرقسية . و كان هذا الرجل تقى كثير الصلاة يسهر كثيرا ، و يقوم برى الزرع فى المساء متأخرا ، و كان هذا الرجل مفتوح العينين ، يرى رؤى الله ...كان يرى القديس مارمرقس كل ليلة يحمل مجمرة مملوءة بخور و يطوف بالمنطقة كلها . و كان الرجل سعيدا أيما سعادة بما أنعم الله عليه و بهذه البركة التى لا يُعبر عنها . و لم يكن أحد يعلك . شيئا عن هذه الأمور

و فى يوم من الأيام لم ير الرجل الطيب مارمرقس بحسب عادته اليومية . ظل يصلى و يرتل إلى الله ، و لكنه لم يره أيضا فى الليلة الثانية و لا الثالثة . كان إختفى عن ناظريه هذا المنظر السماوى ، فصار حزينا كسير القلب . و فيما هو على هذا الحال متحيرا ماذا يعمل ؟ إذ به يصعد إلى قلاية البابا البطريرك .. و يقص عليه تفاصيل أمره و يسأله ماذا عسى أن يكون هذا .. فقال البابا " طيب . " يا مسيو صلى و ربنا يدبر الأمر و نشوف لماذا حدث هذا

إستقصى البابا أخبار الكنيسة و خدامها ، فعرف أن الكاهنين خادمى الكنيسة المرقسية قد حدث بينهما خلاف من عدة أيام و إنهما متخاصمان . إستدعاهما البابا و أصلح فيما بينهما و نزلا منعن الرجل عند البابا فى سلام . بعدها بيوم إستدعى البابا الرجل الجناينى و سأله كيف الحال ، سجد . " قدمى البابا شاكرا و قال " الحمد لله يا سيدنا عاد مارمرقس إلى ما كان عليه

. " حينئذ علق البابا كيرلس السادس قائلا " شفت يابنى إننا بأعمالنا ممكن نمنع الخير عنا

يستجيب لك الرب فى يوم شدتك

كان شاباً مسيحياً طيب القلب ، نشأ فى عائلة متدينة سكنت إحدى قرى محافظة المنيا .. و كان مثال الطاعة و الأخلاق الطيبة ، و قد حصل على درجات عالية فى الثانوية العامة أهلته للإلتحاق حال بكلية الطب بالقاهرة .. كان ذلك فى بداية الخمسينات من القرن الماضى ، و رغم ضيق . الأسرة و قلة مواردها ، إلا أنهم أصروا أن يسافر إبنهم إلى القاهرة ليكمل دراسته

صحبته أخته الكبرى و أستأجرا فى الجيزة حجرة صغيرة يعيشان بها . و إنتظم فى دراسته و كانت الأسرة تقتطع من معيشتها و ترسل لهم ثلاث جنيهات كل شهر للمسكن و الإعاشة علاوة على مصاريف الجامعة ، و كان هذا يمثل عبئاً على الأسرة و لكنهم كانوا يشكرون الله و ينظرون إلى . مستقبل إبنهم ، و هكذا كانت معظم عائلات الأقباط فى تعليم أولادهم

أرتبط بالكنيسة فى الجيزة إرتباطاً شديداً ، إذ وجد فيها كما يقول المزمور " العصفور وجد بيتا و اليمامة عشا لتضع أفراخها .. مذابحك يا رب الجنود .. طوبى للسكان فى بيتك " ، فواظب على الحنون القداسات و الإجتماعات . و وجد فى بيت أبنا المتنيح القمص صليب سوريال نعم الأب فألتصق به إلتصاقاً عجيباً يستشيره فى كل صغيرة و كبيرة ، لا يخطو خطوة واحدة دون أخذ

نصيحته الأبوية . مضت شهور و بدأ يتأقلم مع حياته الجديدة فى الجامعة و الكنيسة . و كان كثير الصلاة كثير الشكر .. و كانت حوالة مالية تأتيه كل شهر من الأسرة بالصعيد .

فى أوائل أحد الشهور إنتظر كعادته أن تصل الحوالة بالبريد فلم تأتى .. إنتظر يومين .. ثم إسبوع .. لا شىء .. الموارد التموينية فى البيت تنقص ، قاربت على النفاذ .. لا يوجد منفذ آخر ، فهو لا يعرف قريب له فى القاهرة و يستحى أن يطلب من أحد شيئاً فهو خجول جداً ، ثم من يعطيه ؟

بدأ هو و أخته يقتصدان فى الطعام القليل الباقى عندهم مع مواظبة و إلحاح فى الصلاة و الطلبة .
ثم نفذ كل ما عندهم تماما .. اصبحا لا يملكا حتى رغيف خبز واحد . فضاق الأمر بالأخت ، و بينما هو خارج فى الصباح فى طريقه إلى الجامعة ، قالت له " إعمل حسابك لا ترجع إلى البيت دون أن تتصرف حتى لا نموت جوعاً " .

رفع بصره إلى السماء .. و فى طريقه إلى الجامعة سيراً على الأقدام - إذ كان المسكن قريباً من الجامعة - إنهمر فى البكاء و هو يصلى و يقول أنت تقوت فراخ الغربان التى تدعوك .. أنت تفتح يدك فتشبع كل حى غنى من رضاك .. ثم صلى المزمور " يستجيب لك الرب فى يوم شدتك " حيث كان يجد عزاءاً كبيراً فى كلماته . كان متحير ماذا يفعل ؟ و صار يطلب بقلب كسير مشورة الله . هل يذهب إلى الجامعة و يسأل أحد زملائه عن سلفة ؟ هل يرسل تلغراف إلى أسرته و لكن من أين له ثمن التلغراف ؟ أخيراً خطر على باله أن يذهب إلى أبونا صليب يطلب منه ، إنه أمر محرج جدا و لكن ما هو البديل ؟ وصل و هو فى هذه الأفكار إلى ميدان الجيزة . وقف فى وسط الميدان كمن هو فى مفترق الطرق .. إلى أين يتجه ؟ رفع بصره إلى السماء ثانية و دموعه فى عينيه و هو يقول إلى متى يا رب ؟ فلما خفض بصره ، إذ ورقة تطير تدفعها الريح .. طارت الورقة حتى إرتطمت برجله و إلتصقت بالبنطلون .. إنحنى ليزيحها عن رجله .. و ياللمفاجأة المذهلة للعقل ، بل التى تفوق العقل ، إنها ورقة مالية .. جنيه .. لم يصدق عينيه و كأنه أصابه ذهول إلى لحظة . ربما طار هذا الجنيه من أحد ، أمسك الجنيه بيده ، رفعه إلى فوق لعل الذى طار منه يأتى ليأخذه .. و لكن لم يأتى أحد . ظل واقفاً رافعاً يده ممسكاً بالجنيه إلى دقائق .. لم يقترب إليه أحد ، و هو يكاد يصرخ لقد إستجاب الرب فى الحال بطريقة معجزية . خشى أن يقف أكثر فيقول الناس عنه إنه معتوه .

شكر الله بعمق رهيب . لم يعد يتحكم فى دموعه ، العبارات فى فمه مكتومة لأن القلب فائض بشكر لا يُعبر عنه . أكمل مسيرته ، إلى أين ؟ إلى الكنيسة ، لابد أن أدفع العشور ، هكذا قال لنفسه . ذهب إلى دكان البقال ، إشترى بعض الضروريات و إتجه إلى الكنيسة ليضع عشرة قروش فى صندوق الكنيسة . و فيما هو داخل إذ بأبونا صليب فى مقابلته ، رآه على هذه الحال ، إحتضنه بمحبة و سأله " ماذا بك يا إبنى ؟ " قص عليه أحواله بالتفصيل إلى أن قال له " و أنا قادم الآن أن يأتى الرب لأدفع العشور " فقال له أبونا " عشور أيه يابنى ، أستبقى لنفسك هذه القليلة إلى بالفرج " و لكنه أصر قائلاً " يا أبى أرح ضميرى و أسمح لى " . تعجب الأب من هذا الإيمان العجيب ، و تركه يفعل ما شاء ، توجه إلى بيته يمجد الله و يحكى لأخته صنيع الرب العجيب ، و

من يومها لم يعد الأخ معتازاً إلى شيء إذ كانت بركة الرب معه . تخرج من كلية الطب و صار و هو طبيب كما كان و هو طالب محباً للعطاء بسخاء ، حنوناً على الفقراء إلى أقصى حد . و قد أدرك الرب هذا الأخ ببركات لا تعد و صنع معه آيات لا حصر لها .

عـــــفة يوســف

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة ابرار معاصرين " :

هل من الممكن أن يعيش الشاب طاهرا فى هذه الأيام ؟ و هل من الممكن أن يقاوم الإغراء و الغواية ؟ و كيف السبيل إلى الأحتفاظ بالقداسة مع إزدياد التحرر و وسائل إنتشار الخطايا ؟

هذه الأسئلة و غيرها تواجه الإنسان فى طريق الجهاد الروحى . و قد تبقى هذه الأسئلة حائرة بلا جواب شاف ، و قد تبدو حياة الطهارة و ما يختص بها من وصايا .. تبدو نظرية أكثر منها عملية .. أو المسيحى العادى فى كثير من الأحيان يخيل للإنسان أنها مستحيلة و إنها ليست فى مقدور الإنسان .. بل فى أحيان كثيرة تبدو قصص القديسين كأنها خيالية إذ يعجز الإنسان فى حياته العملية عن تنفيذ مطالب القداسة .

و لكن كلما وُجد نموذج حى معاصر ، يصير هذا أعظم من ألف عظة ، بل إن حياة كهذه تجيب على جميع الأسئلة المحيرة .. و بالإختصار نقول إذ نلمس سيرة حية - إنه و إن كان الباب ضيقاً و الطريق كرباً كقول الرب و لكن طالما سار فيه البعض و بلغوا الغاية فالطريق ليس مستحيلاً ، بل " أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوينى " . ذلك يشبه الدرجات العليا التى يجوزها الأطباء فى فروع الطب الدقيقة حتى يصلوا إلى ما وصلوا إليه .. إنها منافسات رهيبة و درجات فى العلم فاقت التصور ، و السؤال : كيف وصلوا إلى هذا ؟ و الجواب : بالكد و السهر و الجهاد المضنى ، إذ أن الطريق صعب و لكنه ليس بمستحيل .. ما دام كل الذين سبقونا إليه بشر مثلنا .

على هذا القياس يكون رجاؤنا فى الحياة الأفضل ، و سير القديسين تصير لنا خير معين . و الأمثلة كثيرة و شهود المسيح لا يقعون تحت حصر أو عد ، و لكنى أذكر هذا الشاب ضمن المئات الذين عايشتهم و قد أختبروا سلوك العفاف و أحبوا القداسة و حفظوا طهارة النفس مع الجسد .

كان هذا الأخ من المترددين بصفة دائمة على الأعتراف ، و إجتماع الشبان فى كنيسة مارجرجس سبورتنج بالأسكندرية فى السبعينات .. كان وجهه مشرقا كوجه ملاك ، فقد حباه الرب بنعمة خاصة ، إذ كان وسيما جدا فى شكله بحسب الجسد ، ملفتا للنظر فى دقة ملامحه الملائكية ، و بطبعه وديعا رقيقا .. يود الناظر إليه أن يكون فى معيته ، و لرقة طبعه و حسن معاملته كان كان محبوبا فى بيته و المدارس التى نشأ فيها . لم يسمع أحد صوته صاخبا كباقى التلاميذ فى مثل سنه كان أيضا متفوقا فى دراسته أمينا لمسيحه . أنهى دراسته الثانوية و التحق بكلية الطب ، و كان .

كل سنوات دراسته متفوقا من أوائل دفعته . و كان أمينا فى صلواته منظما فى المواعيد ، و كان يسلك بتدقيق عجيب ، فكانت نفسه نظيفة و فكره عفيف ، لا يسمح لأقل الشوائب أن تعكر صفو نفسه و قلبه . فكان يهرع للإعتراف بدقة مقدما توبة صادقة على أشياء قد لا تسترعى إنتباه الإنسان العادى على إنها مخالفة أو شريرة . أما هو فكان صاحياً مدققاً ، و كان حبه للمسيح قد أستولى على مشاعره فأزداد فى القداسة بنفس مرتاحة بلا كدر .

و لما أكمل دراسته ، عُين معيداً بالجامعة و صار نائباً فى أحد الأقسام .. و كنائب ، كان عليه أن يكون فى المستشفى معظم وقته و ليالى كثيرة بحسب نوبته ، و كنت بين الحين و الآخر أراه فى إجتماع الشباب بحسب ما يسمح وقته ، يأتى كعادته ليستمع إلى كلمة الله الحية بكل جوارحه و يتناول الأسرار فى اليوم التالى ، و قد يجد وقتاً يطلعنى فيه على مسار حياته و لا سيما فى بداية حياته العملية .

كان يشكو لى من أحدى الحكيمات بالمستشفى ، شابة جميلة غير مسيحية ، تعطيه إهتماماً أكثر من باقى الناس ، و تحاول الكلام معه بمناسبة و بدون مناسبة ، و تتكلم بطريقة فيها شىء من الميوعة . و كان هو من ناحيته خالى الذهن ، لا يبالى و لا يعطيها إهتماماً ، و لكنه كان واعياً أميناً لإلهه . فكنت أشجعه و أنصحه بكثرة الصلاة .. لا سيما صلاة يسوع فإسم ربنا يسوع المسيح قهر شياطين . و كان هو مطيعاً أميناً فى تنفيذ هذا ، فأختبر سروراً و فرحاً و كان يأتى مطمئناً فى داخله سلام بلا إنزعاج .

و لكن مع توالى الأيام .. إزدادت حركاتها و كلماتها .. و صارت كمن تطارده فى كل مكان ، و كان هذا يسبب له ضيقاً . و كلما تعمد إهمالها ، إزداد الشيطان فى دفعها حتى أصبحت حرباً .

يوماً جاء إلى مثقلاً ، ماذا يفعل ؟ فقلت له ليس لنا سوى سلاح الصوم و الصلاة فهذا يقوينا و يسندنا بالنعمة ، و فى نفس الوقت فإن قول الرب " هذا الجنس لا يخرج بشىء إلا بالصلاة و الصوم " . قلت له " هل تصوم الأربعاء و الجمعة ؟ " قال " نعم " قلت " دعنا نصوم يوماً ثالثاً ، فصار يصوم الأربعاء و الخميس و الجمعة من كل أسبوع منقطعاً لفترة من الزمن ، و مواظباً على الصلوات الحارة .

مضت بعض الأسابيع ، و فى ليلة كان يبيت بالمستشفى إذ كان دكتور العنبر المسئول طوال الليل و كان على هذه الحكيمة أن تسهر هى الأخرى .. و بعد منتصف الليل إذ هدأ العنبر ، دخل حجرته الخاصة و صلى بعضاً من مزامير الليل ، و ألقى بنفسه على الفراش عله يحظى بقليل من النوم قبل أن يستدعيه أحد من المرضى ، أو الحالات الطارئة . راح فى نوم هادىء محاط بملاك السلامة . ثم فجأة صحا على صوت صراخ ، قام منزعجاً ، قفز من السرير و جرى نحو الصوت ، فسمع واحدة تصرخ من إحدى الحجرات . إندفع نحو الحجرة و إذ به يجد الحكيمة و قد خلعت ملابسها تماماً واقفة وحدها داخل الحجرة . لقد نصب الشيطان فخه ليصطاده . ملأ قلبها و ألهب فكرها بالشر ، طاردته بكل وسيلة فلم تنجح ، حاولت إغرائه بشتى الطرق لمدة شهور فلم يعرها الحيلة إلتفاتاً .. و الشيطان عندما يغلبه أحد يطير صوابه . كان الشيطان مغلوباً منه ، فدبر هذه

القذرة .. و لكن قوة الصوم و الصلاة و نعمة اليقظة و حب المسيح جعلته يقول " كيف أصنع هذا الشر العظيم و أخطىء إلى الله ؟ " إن الخطية ليست جذابة ، رشم ذاته بعلامة الصليب المحيى ، من الخروج ، لم و حاز على قوة عجيبة ، دفعها بيد إذ كانت قد أغلقت الباب و وقفت ورائه تمنعه تكن دفعته قوية و لكن لا يدرى كيف سقطت على الأرض . كان هناك قوة خفية ، شىء فائق للطبيعة . فتح الباب و خرج مسرعاً يمجد الله القوىو يمجد الصليب الذى هو عند الهالكين جهالة ، و لكن عندنا نحن المخلصين هو قوة الله .

ترك المستشفى و جاءنى قبل الفجر ، فوجئت به يقرع باب منزلى .. لم يستطيع الإنتظار حتى الصباح .. كان مضطرباً و متأسفاً أنه جاءنى فى مثل هذا الوقت ، كم فرحت به عندما حكى لى ما جرى ، كم مجدت الله العجيب و القادر على كل شىء . صلينا مزامير باكر معاً بفرح و نصرة لذيذة ، فطعم النجاح لا يمكن التعبير عنه . فبقدر ما للسقوط من مرارة ، بقدر ما للأنتصار على الخطية من فرح مشبع للنفس ، إذ يحس الإنسان بذراع المسيح . صليت له من قلبى و قلت حقا " ذوقوا و إنظروا ما أطيب الرب ، طوبى للرجل المتوكل عليه " .

ســـــــقى الـــــــروح

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه (رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين) :

الأخ (و) و السيدة (ن) زوجته من أمثلة الأسر المسيحية المتدينة ، كنا نشعر أن هذا البيت كنيسة صغيرة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، فالسلام الروحانى هو الجو العام الذى تحيا فيه هذه الأسرة المباركة . كل خدام الرب من أساقفة و كهنة و شمامسة كانوا يجدون راحتهم هناك ، و لا سيما الأنبا يؤنس أسقف الغربية المتنيح ، و أبونا بيشوى كامل . كانت كلمة الله محور الجلسات فى كل زيارة ، التسبيح و الألحان تملأن أرجاء البيت . فرح حقيقى و سعادة فائقة للوصف .

كانوا بين الحين و الآخر يترددون على بابا صادق - بار آخر سنذكر قصته فيما بعد - هناك ترتاح أرواحهم إلى فيض ينبوع النعمة من مائدة كلمة الله . كان بابا صادق يعتبرهم أولاده الخصوصيين ، لأنهم كانوا إذ سمعوا الكلمة حفظوها فى قلب طاهر جيد ، و كانوا يثمرون ثمر الروح . .

أنجبا طفلين بنت و ولد ترعرعا فى هذا الجو الروحى ، فخرجا هادئين هدوء عجيب . وداعة الأطفال و نقاوتهم ظلت هى السمات الدائمة لهم حتى بعد ما كبرا و تخرجا من الجامعة .. و لأجل الأعباء المنزلية و العناية بالأولاد كان للأخت (ن) خادمة ، فتاة صغير مقيمة معهم إقامة كاملة ، و هى غير مسيحية عمرها 12 سنة ، من أسرة ريفية فقيرة . و كانت (ن) و زوجها يوليانها رعاية فائقة و يعاملانها بحب يفوق الوصف ، بل كانت بالنسبة لهما هى الأبنة الكبرى .

و كانت إذ حصلت على هذا العطف الفائق ، إنها صارت بالفعل عضواً بالأسرة بلا تمييز ، فهى فى ملبسها كواحدة من الأسرة ، و حينما يجلسون إلى مائدة الطعام فالأخت (ن) تجهز المائدة و

تضع لخادمتها قبل نفسها . فى الدخول و فى الخروج كانت تصحبها ، و إذ صارت الخادمة شابة يافعة كانت تشربت روح الأسرة و صارت بإرادتها تحيا هذه الحياة المقدسة . فهى كثيرة الأصوام ، تشارك سيدتها حتى أصوامها الخاصة مع أصوام الكنيسة كلها و أيام الأربعاء و الجمعة . و عبثاً حاولت سيدتها أن تثنيها عن عزمها ، بل كانت تقول لها أن هذه الأصوام و الصلوات ليست لك ، إنها ليست عقيدتك و لا إيمان والديك . فكانت تصر إصراراً عجيباً ، إذ كانت قد تعلق قلبها بالرب الذى سمعت عنه كثيراً و الذى رأته رؤى العين فى حياة سيدتها .

و لم يكن هناك وجه مقارنة بين ما تراه فى العالم و ما تراه داخل الأسرة التى تحيا تحت سقفها .. إنها كانت تحيا فى السماء ، فى جو يصعب أن تجده فى العالم ، بل إنه كالخيال هذه الحياة الطاهرة المملوؤة فرحاً .

و من المناظر التى علقت بذهنى رغم مرور ما يزيد عن ربع قرن منظر المشادة التى حدثت بين هذه الأخت الخادمة و سيدتها ، يومها كان يزورهم المتنيح الأنبا يؤنس مع أبينا بيشوى كامل و كنت معهم و مع بعض الأحباء ، فقامت الأخت (ن) تخدم فى المطبخ لتقدم شيئاً لمحبيها ، فقامت خادمتها مسرعة لتمنعها من ذلك لكى تخدم هى ، فقالت لها (ن) بل إذهبى أنتِ و إجلسى و إستمعى لكلام الله ، و أنا سأعمل كل شىء . فمنعتها الخادمة قائلة " لا بل إجلسى أنتِ لأن هذا هو عملى أنا " ، فرفضت ، و إذ سمعهما الأنبا يؤنس قام مسرعاً و ذهب إلى المطبخ فوجدهما على هذا الحال ، فتعجب و قال " لا أنتِ و لا هى .. تعالوا نصلى و نقرأ الأنجيل و لما ننتهى من ذلك قوما أنتما و هيئا ما تريدان " .. إنه منظر لا يتكرر .. إلى هذا الحد كان الإتضاع و المحبة بصورة عملية فى هذا البيت .

و من التدابير العجيبة أن توفى والدا الخادمة بالريف فجاء بعض الأقارب يطلبونها زوجة لأحد أولادهم ، فرفضت رفضاً قاطعاً و قالت لهم " أنا إخترت طريقى " ، قالوا لها " لقد توفى والداك " ، فإلتفتت إلى الأخ (و) و الأخت (ن) و قالت " لا بل ها هما أبواى و أنا أحيا فى ظلهما أسعد حياة " ، فتركوها لحال سبيلها . و كان أن أنعم الله على هذه العبدة بنعمة البنوة ، فكملت سعادتها فى المسيح ، و صارت من العلامات المميزة فى صفوف المتناولات من سر الشركة المقدس لأنها عطشى إلى ينبوع الحياة .

حقا إن الروح مثل سقى الماء " كلنا سقينا روحاً واحداً " يسرى سريان الماء ، ثم تفاضلت النعمة على هذه الأخت و إرتبطت برباط الأكليل المقدس بشاب يحيا الحياة المسيحية ، فكونت هى بدورها كنيسة صغيرة برسم المثال الذى رأته و عايشته بين أحضان أسرتها الحبيبة .

حفل إستقبال فى السماء

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه (رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين) :

عرفت الأستاذ غبريال من سنة 1967 ، كان يعمل ضابطاً بالجيش برتبة عقيد و كان طيب القلب بسيطاً لا يعرف المكر و الألتواء ، و كان صوته عالياً يتصرف بتلقائية ، صريحاً مع الجميع ، و كانت حياته بعد أن أحيل للإستيداع شبه مكرسة للحياة مع الله و أعمال المحبة فى محيط العائلة و الكنيسة .

و كان حبيباً لأبينا بيشوى كامل و للآباء الكهنة . و حدث في أواخر سنة 1971 بعد أن جلس البابا شنودة على كرسى مارمرقس ، أنه جعل باكورة زيارته للأسكندرية زيارة كنيسة مارجرجس إسبورتنج . و كان يوماً مشهودا إزدحمت فيه الكنيسة و الشوارع المحيطة بها . كمٌ مهول من البشر جاءوا يحيون مجىء البابا لأول مرة إلى الإسكندرية و يلتمسون بركته الرسولية . و كان يومها أبونا تادرس يعقوب يخدم فى لوس أنجلوس ، و كنا نتمنى رجوعه إلى خدمته بكنيسة مارجرجس إسبورتنج ، و كان أبونا بيشوى كامل نيح الله نفسه ينوى أن يطلب هذا الأمر بإسم شعب الكنيسة من البابا .

و قد طلب كثيرون أن يقولوا كلمات ترحيب و محبة للبابا شنودة و كان العقيد غبريال من بين الذين طلبوا الكلام ، و كان إبنه يعيش فى لوس أنجلوس ، فخشى أبونا بيشوى أن يتكلم الرجل و يزكى أمام البابا خدمة أبونا تادرس فى لوس أنجلوس و حاجتهم له هناك ، لا سيما و أنه يعرف هذه الأخبار نقلاً عن إبنه . فقال لى أبونا بيشوى " أخشى أن يتكلم عم غبريال " و كنت أنا يومها أقدٌم المتكلمين ، فهمست فى أذن البابا قائلاً " إن كثير من الناس يريدون الكلام فهل نقتصر على بعضهم بسبب ضيق الوقت ؟ " فقال البابا " كما ترون إفعلوا " .

فتقدمت إلى العقيد غبريال و قلت له " بسبب ضيق الوقت سيقتصر الكلام على ثلاثة أشخاص ثم أبونا بيشوى ثم كلمة البابا " ، فقال لى " و أنا سأتكلم ؟ " فقلت له " لا لن تتكلم " فقال بصوت عال " سأستأذن من البابا و لابد أن أتكلم " فجاوبته بشىء من الخشونة " أنا قلت لك لا تتكلم و لن تتكلم " ، فغضب الرجل و قام من مكانه و خرج من الكنيسة و هو يتكلم بصوته الجهورى متأثر من الموقف .

فإسترعى المنظر إنتباه البابا فسألنى عما حدث ، فقلت له " طلب أن يتكلم و قلت له لسبب ضيق الوقت سنكتفى بثلاثة متكلمين فغضب و ترك الكنيسة " ، فقال البابا " معلش إبقوا إتفاهموا معاه بعدين " ، و تكلم المتكلمون و تكلم أبونا بيشوى كامل و ذكر فى وسط الكلام موضوع أبونا تادرس ، ثم تكلم البابا و أشار إلى رجوع أبونا تادرس و تكلم إلى الشعب كلمات نعمة روحية فرح بها الشعب و إنقضت العشية بسلام و لم يعكر صفوها سوى هذا الأمر .

فى الصباح قلت لابد أن أذهب إلى الرجل ، إنى فعلاً أسأت إليه و خاطبته بلهجة لا تليق و قد يكون بشىء من الجفاء الذى لا يتناسب لا مع المحبة التى بيننا و لا مع سنه كرجل مسن . أحسست بالندم على ما بدر منى و عزمت أن أذهب إليه أعتذر ، و أطلب أن يسامحنى .

ذهبت إلى منزله ، فلما فتح الباب و رآنى ، فوجئت به ينطرح على الأرض ساجداً يعمل مطانية ، فإرتميت على الأرض أقبله و أطلب أن يسامحنى ، فكان يبكى و يقول " بل أنا الخاطىء " .. كم أنا ۔ أحسست إنى صغير أمام هذا القلب العجيب ! قال " يا أبى أنت تأتى إلى ؟ أنا الذى تجاسرت الذى طلبت بذاتى أن أتكلم ، كان يجب على ألا أزكى نفسى ، أنا الذى رفعت صوتى فى الكنيسة و لم أطع ، أنا غلطان و أنت تأتى إلى " .

و قضينا يومها وقتاً طيباً في محبة نقية و قرأنا فى الكتاب المقدس و صلينا المزامير . و إنصرفت منتفعاً خجلاً من نفسى و أكبرت قدر الرجل الطيب الذى قابل إساءتى بالإحسان و رجع بالملامة على نفسه .

إنقضت سنوات عاشها الرجل الطيب فى خوف الله ، ثم مرض فنقلوه للمستشفى و أصيب بفشل كلوى و إزدادت نسبة البولينا فى الدم ، ثم راح فى غيبوبة الموت . ذهبت لأناوله الأسرار و كان أول يوم فى صوم يونان . ذهبت مسرعاً لأنى علمت أن حالته خطيرة و لم يبق سوى ساعة أو بضع ساعات على إنتقاله من هذا العالم الزائل . ذهبت و أنا بالغ التأثر فالرجل عزيز على قلبى أحبه محبة خالصة كوالد ، أحب فيه قلبه الطيب و روحه النشيط العابد للمسيح .

دخلت الحجرة التى كان يرقد فيها و حوله أفراد عائلته ، فتح الرجل عينيه و قال " مبارك الآتى بإسم الرب ، هات يابنى كرسى لأبونا يرتاح ، أهلاً و سهلاً يا أبونا " . تهلل قلبى حين أشرق نور نعمة الله على وجهه و ناولته الأسرار الإلهية و صرفت ملاك الذبيحة . ثم توقفت بجانب السرير و إذ بالرجل يفتح فاه و يتكلم بكلام عجيب " أيه ده ؟ حفلة كبيرة .. كل ده .. لا أنا ماستاهلش ، مين ؟ داود النبى .. أيوب الصديق .. أبونا إبراهيم ، يا سلام مين اللى بيشيل الكراسى و يرصها ؟ أنت يا أبونا بيشوى ؟ لا يمكن ، لا يا أبونا أنا ماستاهلش كل ده ، لا لا لا يمكن " .

و ما هى إلا لحظات حتى إنطلقت هذه الروح الطيبة لكى تنعم بهذا الحفل الجميل الذى أعده القديسون لإستقباله . نعم رآهم رؤى العين و فى إتضاعه صرخ بإنه غير مستحق . حقاً أن النفس فى حال إنطلاقها يكون الجسد الكثيف قد تهالك و إبتدأ ينحل ، فيتسنى للعين الروحية أن من خلاله و هو يتمزق ، فتكشف السماويات و ترى و تسمع بعين الروح . " فطوبى للعيون ترى التى تبصر و الآذان التى تسمع " و " طوبى للأموات الذين يموتون فى الرب " .

فقراء و لكن أغنياء فى الإيمان

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين " :

إزداد إيمانى بقول الرسول يعقوب " أما أختار الله فقراء هذا العالم أغنياء فى الإيمان و ورثة الملكوت " بعد أن سمحت لى النعمة أن أرى و أتلامس مع كثير من هذه العينات .. فقد أحببت فيهم هذا الإيمان النقى المعلن بلا تكلف أو رياء و كيف أن فقر المال لم يكن شيئاً و لم يؤذ نفوسهم التى تشبهت بمخلصها الذى ولد فى المزود و لم يكن له أين يسند رأسه .

أرملة فقيرة فى منتصف الستينات كانت تأتى إلى الكنيسة كل يوم اثنين تحضر القداس .. كان أبونا بيشوى يعطى الفقراء عناية خاصة و لذلك خصص لهم يوم الإثنين لخدمتهم و قسمهم بعد القداس فصولاً كمدارس الأحد . و أوكل بعض السيدات لخدمتهم ، يرتلن معهن و يعملونهم و يدرسون لهم الكتاب المقدس . كانت هذه الأرملة المسكينة تأتى بإنتظام تواظب على الألحان الأسرار و كانت حياتها بالمسيح وادعة هادئة كالنسيم .

كانت كل يوم إثنين تأخذ بركة من الكنيسة ، مبلغاً بسيطاً 25 قرش ، إلى جانب ما يتوفر لدى الكنيسة من أكل و فواكه أو زيت أو سمن و خلافه بحسب ما يكون الرب قد أعطى . فكانت هذه توزع عليهم .

جاءنى أبونا بيشوى ذات يوم و هو متأثر غاية التأثر و قال " تعرف أم فلان الأرملة التى من الفقراء ؟ " قلت " بالطبع أعرفها " قال " كنت أزور بعض المساكن بالحضرة و قادنى بعضهم إلى كشك صفيح فقير جداً و به رجل عاجز مسن . منظر مؤثر للغاية . و قد أخرجت الناس إلى الخارج و قدمت له بعض المال و عرضت أن أكلف أحداً ليأتى إليه كل إسبوع بما يحتاجه ، هل تصدق ؟ قال الرجل : لا يا أبونا أنا أشكر الله . ربنا بيبعت لى الست أم فلان فهى تعطينى كل إسبوع 15 قرش و كثير من الأكل " قال أبونا " لم أكد أصدق ما أسمعه . كيف كانت هذه الأرملة المسكينة تعطى أكثر من نصف ما تأخذه من الكنيسة و هى ليس لها دخل . إنها تأخذ الصدقة من الكنيسة و لكنها تستطيع أن تعمل الخير . إن عمل الخير لا يمكن أن تحده حدود " . " أما إختار الله فقراء هذا العالم أغنياء فى الإيمان " ، حقا إنها أغنى من الأغنياء ..

قصة أخرى :

فى صباح يوم قابلنى أبونا بيشوى بإبتسامته المشرقة و قال لى " أمس كان عندنا منظر تحب أن تراه " قلت " و ما هو ؟ " قال " إنت عارف شمس ؟ " قلت له " نعم هى السيدة الفقيرة التى تجلس فى سوق زنانيرى تبيع بعض الخضار " قال " لقد سقط منزلهم القديم و إنهار تماماً فصار جميع السكان بلا مأوى . أخذوا جميع السكان إلى الجامع فى شارع زنانيرى . كان هذا فى الليلة قبل الماضية و قد باتت ليلتها هناك هى و أطفالها . قال لها إمام الجامع : أنت مسيحية هل ترضى أن تنامى هنا ؟ قالت له : أنا بنت أبونا بيشوى و هو معلمنا إننا نحب جميع الناس و كلنا إخوة . فشكرها الرجل و شكر أبونا بيشوى و قال بالحقيقة كذلك و نحن يجب أن نعيش بهذه المحبة و هذا السلام .

و فى الليلة التالية - التى هى مساء أمس - جاءت إلينا من السوق و أخبرتنا بالذى جرى لها و إن كل ما تملك قد دفن تحت أكوام التراب ، و قالت " كل هذه الأمور زائلة و أنا أشكر الله على عطيته " .

أمسكت بها أنجيل - زوجة أبونا بيشوى كامل - لكى تبيت الليلة بمنزلنا و قدمت لها الطعام . أكلت و شكرت الله ، ثم جئنا إلى المبيت ، طلبت أنجيل منها أن تصعد إلى السرير لتنام ، و لكنها رفضت تماماً .. كيف يتسخ الفراش ! فملابسها قذرة و رجليها أيضاً من المشى حافية فى السوق الملىء بالطين . كيف يكون هذا ؟ لا لن يحدث أبداً .. و هنا بدأت المشادة و الخناقة .. هذه مصرة على عدم الصعود للسرير و أنجيل تجرها جراً . قلت " و ماذا كانت النهاية ؟ " قال " نامتا هما الأثنتان بعض الإحتياجات ، لكن المرأة كانت على الأرض الليل كله " . فى الصباح حاولت أنجيل أن تعطيها عفيفة النفس بشكل مذهل . إنها معدمة بلا مسكن و لا ممتلكات ، حتى الأمور الضرورية فقدتها و لكنها لم تفقد قناعتها و شبعها بالمسيح .. كانت مكتفية و كانت كفايتها من الله . وقتها تذكرت أغنياء يتذمرون و هم غير شاكرين ، و كيف أن الطمع أفسد نفوس كثيرة . و تذكرت كلام الكتاب " يوجد من يتغانى و لا شىء عنده و من يتفاقر و عنده غنى جزيل " .

قصة ثالثة :
شخص آخر فقير فى منظره . هو شاب ، وُلد و به بعض العاهات فلسانه منعقد ، يتكلم كلمات قليلة بالكاد تفهم ما يريد ، و ثيابه رثة جدا ، و لعابه يسيل من فمه على ثيابه فيشمئز البعض من منظره . قدراته محدودة و منظره كالمسنين ، و لكن كان هذا المسكين قد حصل على قلب حار نحو خدمة الفقراء . إنه محب للمسيح و أخوة الرب الفقراء . كثير من الناس إذ يروا منظره يقدمون له بعض المال ، لا يرفض أن يأخذ ، بل كثيراً يأتى إلى الآباء يطلب قدراً من المال . عرفنا فيما بعد إنه إبن رجل مقتدر ، تاجر فاكهة بالجملة و إنه لا يعوزه شىء . بل عرفنا إنه يأخذ مبالغ كبيرة من والده الطيب القلب ليخدم بها الفقراء ، و الرجل فرح بأن الرب أنعم على إبنه بدل النقص الجسدى زيادة فى الروح و خدمة المسيح . إنه يعرف عدداً كبيراً من العائلات الفقيرة .. يعرفهم بالإسم .. فإن تصادف وجود بعضاً منهم فى الكنيسة لطلب حاجاتهم فإنه يقترب من الكاهن و يهمس له .. الست دى محتاجة جدا ، و هذه إعطها بركة و خلاص ، و تلك مبسوطة ممكن تمشى حالها .

فوجئت مرة و أنا فى دير مارمينا بأتوبيس كبير مملوء من الفقراء .. نزل منه بفرح و تهليل سيدات و أطفال .. كان الأخ قد رتب هذه الرحلة للفقراء .. جمع المطلوب من المال لإيجار الأتوبيس و طلب من أحد الأخوة بالكنيسة أن يؤجر له الأتوبيس لأنه لا يعرف .. و إتفق مع السيدات الفقيرات و جمعهن هن و أطفالهن فى الكنيسة و صحبهن إلى دير مارمينا ، و لم تدفع إحداهن قرشاً واحداً فقد تكفل هو بكامل المصاريف .. يقول دائماً " غلابة كلهم يسوع يحبهم " " يسوع يحب أولاد الفقراء " . و قد تكررت هذه الرحلات الفقيرة يقوم بها هذا الأخ العجيب عشرات المرات .. و فى كل مرة يأخذ مجموعة غير المجموعة السابقة ببساطة طفولية و حكمة نازلة من فوق و قلب نارى محب ، يحمل طعامهم و يسير به مسافات طويلة .. يقرع أبوابهم فى الليل يحمل على

رأسه أقفاص الفاكهة و المأكولات .. يسعى فى الشوارع النهار كله .. و يخدم المسيح بإمكانياته البسيطة ..

إن منظر هذا الأخ يبكت أكبر الخدام و الكهنة و يعطى درساً " أنه ليس بالقوة و لا بالقدرة بل بروحى " كما قال رب الجنود .

قصة رابعة :
قصة أخرى أذكرها عن رجل فقير معدم ، كان يأتى ليصلى فى كنيسة السيدة العذراء بكليوباترا بالأسكندرية .. متواضع فى كل شىء فى نفسه و فى مظهره .. فهو يلبس اثمال بالية .. كان عاملاً يشتغل بيديه ، ثم أصيب فى إحدى عينيه ، و مرض بالقلب فلم تعد له قدرة على العمل اليدوى .. فكان يمد يده و يسأل صدقة ..

و الغريب فى الأمر إنه حالما يدخل الكنيسة للصلاة ، كان يدخل إلى الهيكل يسكب دموعه و توسله لدى الله ، و يصلى القداس بكل نفسه و عقله . لم يكن يقبل أن يعطيه أحد شيئاً فى نهاية الكنيسة مهما كان إحتياجه ، فالكنيسة بالنسبة له بيت الصلاة . و بالكاد كنت أعطيه شيئاً بعد القداس ، فالرجل رغم حاجته الشديدة إلا أن إيمانه بالمسيح جعله فى كفاية دائمة .

وجدته فى نهاية أحد القداسات واقف محتار يبحث عن حذائه و قد كادت الكنيسة أن تفرغ من المصلين و ظل هو واقفا .. سألته " ماذا بك ؟ " قال " لا أجد حذائى " نظرت حولى .. لم أجد سوى حذاء واحد جديد . قلت له " لعل هذا هو حذاؤك ؟ " قال " لا " قلت " لقد إنصرف الجميع و لم يعد سوى هذا الحذاء ، خذه إذن و إنصرف " قال " لا أستطيع ، فحذائى قديم مهلهل و هذا الحذاء الجديد لا يخصنى " ألححت عليه أن يأخذه و لكنه رفض تماماً . قلت له " إنتظر وقتاً آخر لعل أحداً لبس حذائك دون قصد و سوف يكتشف ذلك و يرجع إلى الكنيسة " .. إستمر الرجل واقفاً مدة تزيد على نصف ساعة و لم يحضر أحد ، قال لى بعدها " سامحنى يا ابى سأنصرف " و لما نظرت له وجدته حافى القدمين .. قلت له " لماذا لم تلبس الحذاء ؟ " قال " لا أستطيع " حينئذ أخذت الحذاء و شددت عليه حتى لبسه مرغماً و إنصرف و هو متضايق و لكنى أرحت و قلت له " سأعرف من فعل هذا و سأتفاهم معه " و بعد أيام قليلة قال لى أحد ضميره الشمامسة أنه شاهد الأستاذ فلان يلبس حذاء الرجل الفقير بعد التناول و ينصرف مسرعاً .. قلت للشماس لعله لبسه عن طريق الخطأ .

ذهبت لأزور هذا الأخ فى منزله ثم كلمته على إنفراد و سألته ماذا حدث حتى إنك لبست حذاء الرجل الفقير ؟ قال " من أعلمك هذا ؟ قلت له " علمت " ! " .
فقال " إنى متحير فى أمر هذا الرجل ، فهو فقير معدم كما يبدو عليه . حاولت مرات أن أعطيه شيئاً فرفض بإصرار ، عرضنا عليه بعد الكنيسة بعض الأطعمة فشكرنى و لم يأخذ و قال لى أشكرك يا حبيبى فيسوع المسيح يهتم حتى بفراخ الغربان ، فسكت و تعجبت و من كل قلبى وددت

أن أعطيه شيئاً . و فى الأحد الماضى وجدتها فرصة سانحة إذ خرجت من التناول و وجدت حذائه القديم المهلهل فلبسته على عجل و تركت حذائى الجديد الذى لم استعمله سوى عدة أيام .. و خرجت من الكنيسة فى غاية الفرح إذ قدمت لأخ المسيح هذا شيئاً بسيطاً لا يذكر " .

يومها مجدت المسيح و روحه العامل فينا الذى يحرك المعطى للعطاء و يعمل فى قلب المحتاج للإكتفاء . و هكذا تكون الكنيسة غنية بإيمان أولادها ..

القديس مارجرجس و النجدة السريعة

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين " :

جاءنى خادم الكنيسة ، و كنت ساعتها فى حجرة المعمودية ، أتمم السر المقدس لأحد الأطفال ، و قال لى إن سيدة بالباب هى و والدتها تطلب أن تراك ، قلت له حالما أنتهى من العماد إدخلهما إلى هنا .

دخلت السيدة و والدتها .. مرتعدتين فى خوف و حذر و سلمتا على ، أدركت للحال أنهما غريبتان عن الكنيسة و ربما كانت هذه أول مرة تتقابلان مع كاهن ، أو لعلهما لم تدخلا كنيسة من قبل .. فرحبت بهما و أذنت لهما بالجلوس .. و قلت " كيف أستطيع أن أخدمكما ؟ " فلما هدأت الشابة بدأت تقص على قصة غريبة .. قالت " نحن كما ترى غير مسيحيين و لكننا من أسرة متدينة محافظة ، و نعيش فى سلام مع جيراننا و منهم أسرة مسيحية تربطنا بها أواصر محبة .. و قد صحبتنا السيدة جارتنا المسيحية إلى هنا و أدخلتنا لأننا لا عهد لنا بدخول الكنيسة .. منذ شبابى المبكر و أنا أحب سانت تريز ، لقد سمعت عنها فى المدرسة و أطلعت على سيرتها فأحببت فيها الرقة فى المشاعر ، و إحتمال المرض و الشكر عليه ، و أحسست أن حياتها الهادئة الوادعة هى أفضل حياة ، و لست أدرى كيف صارت كأنها صديقتى ، أتكلم معها و أحبها و زادت علاقتى بها ، فأحببت كل ما أحبت فى حياتها و تمنيت لو أحيا على مثالها . و منذ سنوات تقدم لخطبتى شاب متدين من أسرة معروفة لنا ، و يشغل وظيفة محترمة و يواظب على الفروض المفروضة علينا فى ديننا ، و هو رجل ملتحى و على خلق طيب محترم من جميع الناس . و تمت خطبتى إليه ثم إرتبطنا بالزواج ... و من الأمور التى لا أنساها إنه قبل زفافى بيوم واحد رأيت فى رؤيا بالليل أن سانت تريز تقدم لى باقة من الورود .. و كم فرحت بها .. لم يكن شىء يفرحنى فى يوم زفافى أكثر مما فرحت بهذه الهدية و كانها تبارك حياتى " .

قلت لها " شىء جميل .. إن القديسيين و هم فى السماء يحسون بالذين يرتبطون بهم على الأرض " . ثم أستمرت فى تكملة قصتها قائلة " سارت حياتى هادئة طبيعية لا يعكر صفوها سوى حلم مزعج أخذ يتكرر على مدار سنة كاملة بين الحين و الآخر " . قلت لها " و ما هو ؟ " . قالت " كنت أرى و كأن شخصا غريبا مزعجا جدا و شكله قبيح للغاية ، شرس و كأنه بلا رحمة .. كان يطاردنى و كأنه يريد أن يعتدى على .. و كنت أفزع منه أيما فزع . و كنت يوم أن أحلم هذا الحلم المزعج أقوم من نومى منهكة القوى مشتتة الذهن و كأنى مريضة . و كان زوجى يسألنى عن حالى فكنت أقص له هذا الأمر ، فكان يهون على مرة و مرة أخرى يسخر منى . و مرة نذهب إلى أحد المشايخ أو أصحاب المعرفة فكان كل منهم يقول كلاماً أما واقع الأمر فبقى كما هو .. فإزداد إضطرابى ، حتى إنى كنت أكره النوم خشيةً ما أعانيه أثناء أحلامى هذه . و بالأمس نمت حوالى العاشرة و النصف مساءاً .. و فى نصف الليل تكرر هذا الكابوس المزعج .. طاردنى الشبح المخيف .. و ياللهول .. لقد لحق بى و طرحنى أرضاً و وقع على .. شعرت لحظتها أن

ظلمة كثيفة قد غشيتنى ، بل وقعت الظلمة فى داخلى ، كدت أموت . لم أكن أستطيع التنفس من شدة الخوف و الألم . و لكنى كنت بما بقى فى من قدرة هزيلة و صوت خافت كأنه من بئر سحيق أقول " يا رب خلصنى ... يا رب نجنى " . و للحال .. سمعت جلبة قوية .. كأرجل حصان يركض .. حتى إقترب منى و أنا فى حالتى هذه .. فتحت عينى فى خوف فرأيت منظراً من نور . إنسان راكب جواد و ممسك بحربة فى يده . وجهه جميل منير و منظره كله بهاء ، حتى حصانه كأنه منير .. ثم صار صوت من راكب الفرس ، و إذ هو ينتهر الظلمة التى فى داخلى .. أن أخرج منها .. فجاوبه بجفاء أن لا ، و حدثت مجادلة صعبة ، و أنا أسمع بخوف و فزع شديد . فلما دام داخلى كظلمة .. بادره راكب الفرس بطعنة من حربته بقوة فائقة ، فجاءت عناد الشبح الذى رب الطعنة فى صدرى و نفذت الحربة من ظهرى .. و فى الحال إنقشعت الظلمة من نفسى تماما و حل بى نور و سلام و هدوء عجيب . افقت فى لحظتها .. فلما فتحت عينى وجدت زوجى جالسا على السرير فى حالة من الخوف و الهلع . قلت له " مالك جالس هكذا ؟ " قال " هل أنت بخير ؟" قلت له " الحمد لله أنا بخير " . و جلست و قصصت عليه ما حدث لى تماما و أنا متأثرة غاية التأثر ، فقال " هونى على نفسك و دعك من هذه التخاريف " . و حاولت جاهدة أن أعرف ما الذى أيقظه . أو ماذا رأى أو سمع فلم يجيبنى بكلمة

و فى الصباح قمت فرحة سعيدة ، و عندما كنت أبدل ملابسى وجدت ملابسى الداخلية ملطخة بالدم - و أخرجت ملابسها من كيس بيدها و إذا دائرة من الأمام و من الخلف أثر الحربة التى . طعنها هذا الفارس العجيب

سألتها و قد اصابتنى دهشة غامرة " هل تعرفى البطل مارجرجس ؟ " قالت " لا " قلت لها " تعالى ورائى " و ذهبت بها إلى حيث أيقونة الشهيد العظيم مارجرجس ، فلما رأت الأيقونة هتفت بصوت صراخ " هو هو " فجلست أتكلم معها عن سيرة أمير الشهداء .. و هى تصغى و قد أشرق وجهها متهللاً . و قلت لها " رغم عدم معرفتك بمارجرجس و كونك لم تدعيه أو تطلبيه للمعونة .. و لكنك عندما طلبت إلى الله أن يخلصك فإن الله تبارك أسمه يستجيب فى الحال ، فأرسل إليك أحد رجاله القديسين و هو قوى و سريع فى المعونة و قاهر للشياطين . إن مارجرجس فارس شجاع ، و لما كان على الأرض كان حصانه مشهوراً بالأقدام ، فلما صار شهيداً للمسيح فى السماء أصبح حصانه المنير الذى رأيته تعبيراً عن قوة الله ، أما الحربة التى يمسكها فهى ليست مادية بل هى الصليب المقدس العلامة التى تخيف الشياطين و تكسر شوكتهم " . ثم علمتها كيف ترشم الصليب المقدس و تتعلق به و قد صارت هذه بداية عجيبة لقصة حياة أعجب ، إبتدأتها القديسة تريز بصداقة بسيطة و أكملها البطل الشجاع أمير الشهداء بحربته القوية ، صلواتهم تشملنا .. و تحرسنا و تحرس أولادنا .. آمين يا رب

*** جورج من روما

يقول القمص لوقا سيداروس فى كتابه " رائحة المسيح فى حياة أبرار معاصرين " : هى إحدى الأرامل التى تعولها الكنيسة إعالة كاملة بعد أن ترك لها زوجها سبعة أولاد ، و هى ضعيفة البصر نحيلة الجسد ، لا تعرف القراءة و الكتابة و لكنها دائمة الطلب و الصلاة ، كثيرة البكاء و تتمسك فى حياتها بعد موت زوجها بوعد الرب " أنه أب الأيتام و زوج الأرملة " ، و قد جاهدت كثيرا فى تعليم الأولاد و كان الرب يمسك بيدها بطريقة إعجازية ، حتى إنها فى يوم من الأيام جاءت إلى الكنيسة تسأل عن شخص قدم لها مساعدة فوق العادة ، و تريد و تلح فى الطلب أن تراه ، و قالت للشماس ، قل لى فين جورج ؟ فأجابها ببساطة : جورج مين ؟ قالت بتأكيد : جورج اللى من

روما . فسألها مرة أخرى : ساكن فين ؟ فقالت : قال لى إنه ساكن هنا فى الكنيسة . و تصادف فى هذه الأثناء دخولى إلى الكنيسة فقال لها الشماس : أنا لا أعرف شيئا ، أبونا وصل و ممكن تسأليه .

فقلت : خير ؟ فبدأت تحكى لى ما هو أغرب من الخيال ، " فلانة " بنتى حصلت هذا العام على درجات ضعيفة فى الشهادة الأعدادية و لم تقبل فى الثانوى العام فى المدارس الحكومية ، و أنا تعبانة معاها دايخة فى اللف على المدارس . أخيرا ذهبت إلى مدرسة خاصة ثانوى تجارى و قابلت الناظر و المدرسين و قالوا لى لابد من 18 جنيه القسط الأول ، و كان معى 8 جنيهات فقط أخذتهم من الكنيسة و توسلت إليهم و بكيت أن يقبلوا أوراقها و يأخذوا الجنيهات الثمانية ، و لكنهم رفضوا . و خرجت من باب المدرسة و دموعى تجرى على خدى و رفعت عينى إلى السماء ، و قلت يا رب أنت أب الأيتام و قاضى الأرامل ، و أنا ليس لى حيلة و بعد كام خطوة سمعت من خلفى صوتا ينادينى بإسمى ، خفت و كان معى كيس نقودى ، خبأته فى صدرى خشية أن يأخذه أحد منى ، و لم ألتفت إلى خلفى من الخوف . و لكن صوت الذى ينادينى يقترب منى أكثر و لما ألتفت إليه وجدته رجل وجهه منير جدا ، و هيئته مهيبة ، فقال لى أمسحى دموعك أولا ثم قال ماذا تريدين ؟ قلت : أدخل البنت المدرسة ، فقال تعالى معى . و أركبنى سيارة كبيرة و ذهب بى إلى المنطقة التعليمية و دخل بى إلى مدير التعليم الثانوى ، و أعطاه دوسيه البنت ..و نزلنا و دون أن يسألنى عن عنوانى أوصلنى إلى قرب منزلى .. و قال : بعد ثلاثة أيام ستستلمى بالبريد كارت أصفر و هو خطاب قبول بنتك بالمدرسة الثانوية التجارية الحكومية . فدعيت له بطول العمر ، و أنا جورج : ألحيت عليه أن ينزل معى لنقوم له بواجب الضيافة فشكرنى . سألته عن أسمه فقال .. من روما .. و عن سكنه فقال : أنا دايما موجود فى كنيسة مارجرجس بإسبورتنج

و قد حدث تماما كما قال لها ، قبلت أبنتها بالثانوى التجارى ، و وجدت ناظرة المدرسة تهتم بالطالبة جدا كما لو كان موصى عليها ، و بعد أن قصت الأرملة الفقيرة قصتها و أنا لا أكاد أصدق أذنى ، قالت : أعمل معروف يا أبونا دعنى أرى هذا الرجل ، نفسى أقبل يديه و أشكره .
قلت لها أوصفى لى شكله مرة أخرى ، قالت أنا عينى على قدى ، هو أبيض و عينيه زرق و شكله شكل ولاد الملوك . قلت لها هو دائما فى كل قداس و فى كل عشية واقف فى الكنيسة فإذا دخلت الكنيسة أثناء الصلاة تجديه .. و لكن إياك أن تحملقى فى كل الناس ، هو دايما بيكون فى الكنيسة فى آخر صف بيحرس أولاده ..
و تأكدت أن صاحب هذا العمل هو القديس العظيم مارجرجس الرومانى و قد ظهر لهذه الأرملة المسكينة التى ليس لها معين فى هذا العالم .. و مجددت الله الذى يرافقنا بقوته و يرسل قديسيه للمعونة للذين يترجون وجهه و يدعون أسمه .

****